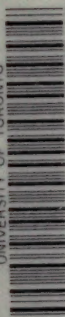
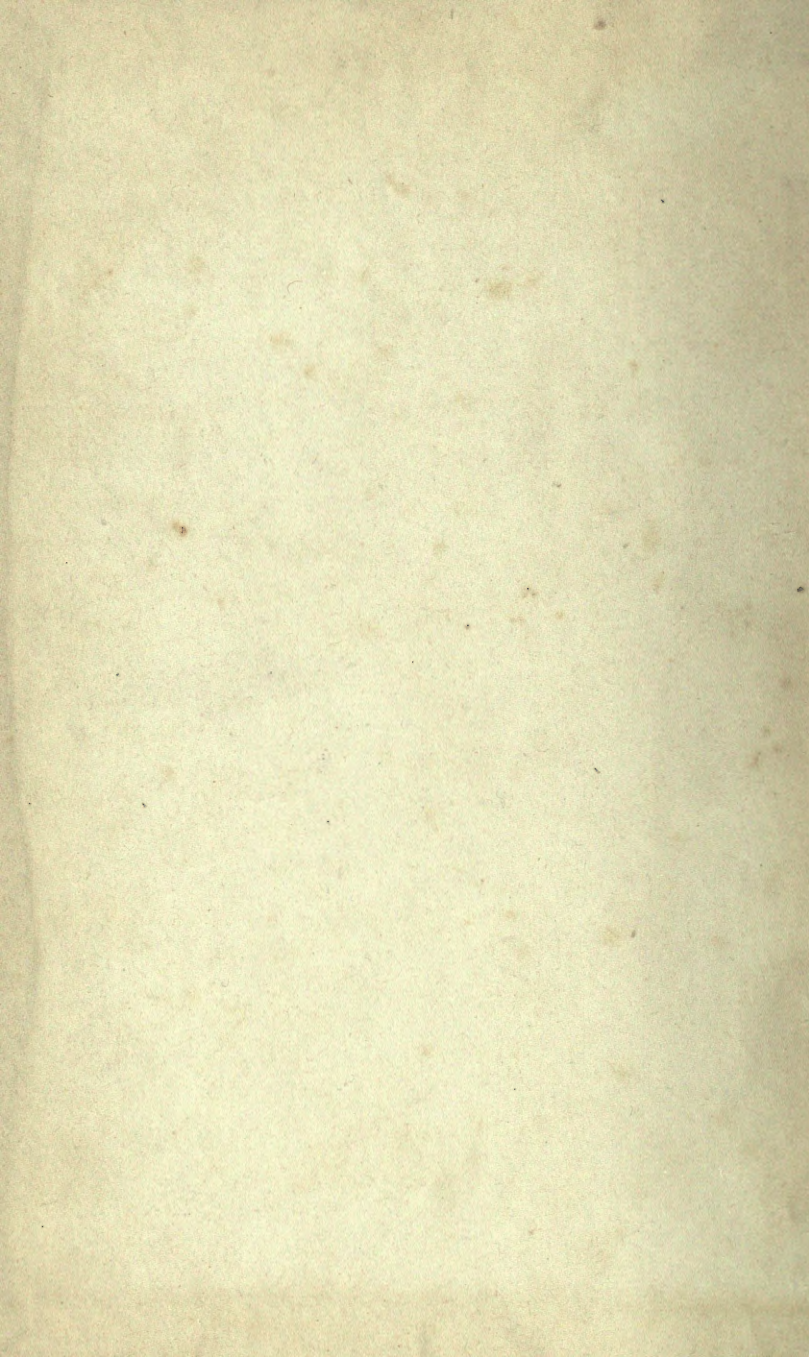


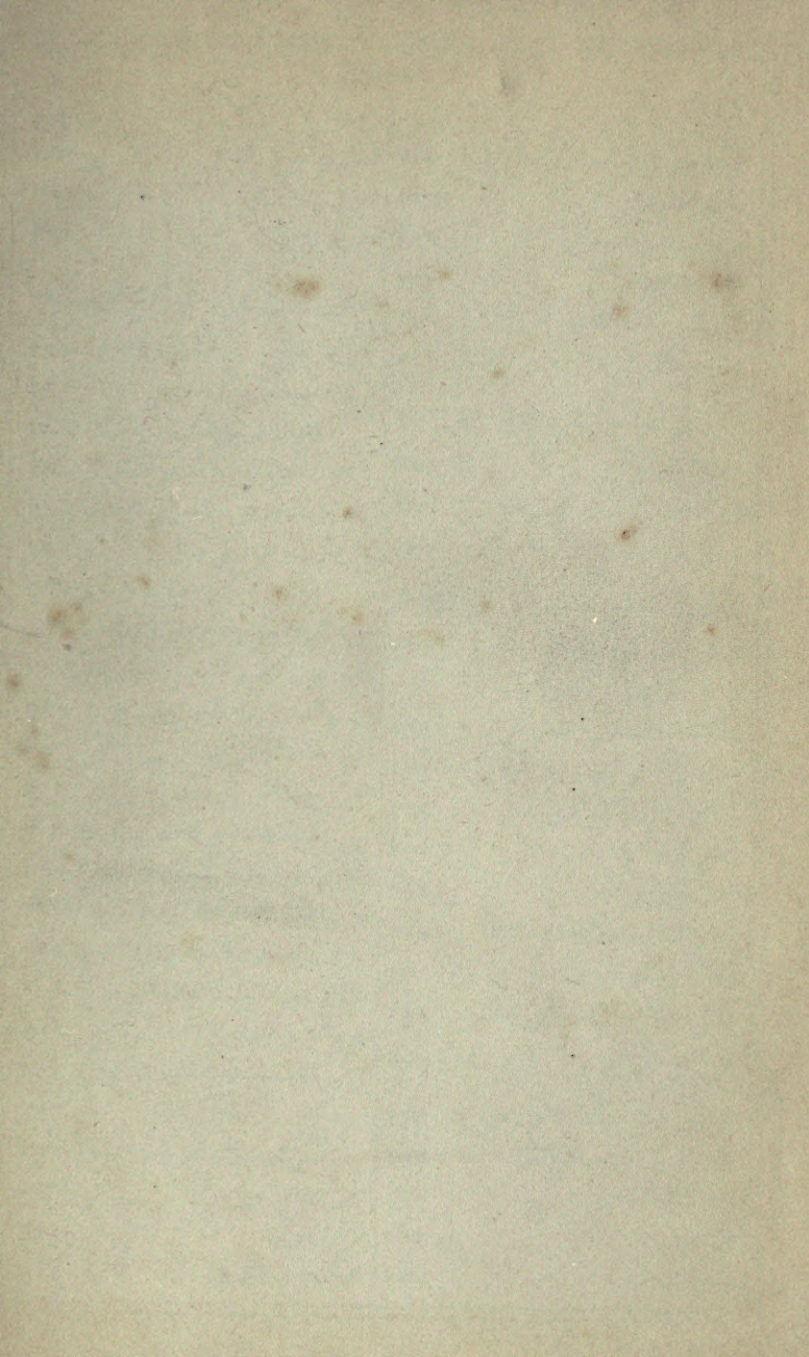
UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00893835 9

PJ
7631
C538
1913
v.3







وجه		وجه	
٢٨٧	فصل في المدح والشكر	٢٣٥	معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨	فصول في التعازي	٢٣٦	مشهد الحسين
٢٩٠	فصول في وصاة	٢٣٧	مرورة اسماعيل العزرجي
		٢٣٨	جود حاتم الطائي
٢٩١	الباب العشرون في تاريخ العرب	٢٤٠	إيثار ابن مامة الايادي
٢٩١	نظر في امة العرب وطباعهم وسكناهم	٢٤١	صنم سومناة
٢٩٢	ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٤٢	الباب السابع عشر في الاسفار
٢٩٢	اخبار عرب العاربة او البائدة	٢٤٢	مدح السفر
٢٩٤	العرب المتعربة بنو قحطان	٢٤٤	ذم السفر
٢٩٤	ملك يعرب ويشجب وسبا بن قحطان	٢٤٤	سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية
٢٩٥	سد مأرب وتفزع بني سبا		الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٦	ملك التبابعة بني حمير في اليمن	٢٥٥	في شرح عجب الموجودات
٢٩٦	ملك شداد وتبع وافريقس وذو الاذعار	٢٥٩	في جرم الشمس ووضعها
٢٩٧	ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	٢٦١	في كسوف الشمس وبعض خواصها
٢٩٩	ذو نواس وشهداء النصرانية في نجران	٢٦٢	فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠١	استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٢٦٤	في المجرّة والكواكب الثوابت
٣٠٢	اخبار سيف بن ذي يزن	٢٦٥	فصل في ارباع السنة
٣٠٤	ملك المناذرة بني كهلان في العراق	٢٦٨	فصل في تولد الانهار
٣٠٤	ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي	٢٦٩	جسم الارض ودورانها وهيئتها
٣٠٦	امرؤ القيس البدء والمحرق والنعمان	٢٧٠	في السحاب والمطر وما يتعلّق بها
٣٠٨	المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس	٢٧١	في الرعد والبرق وما يتعلّق بذلك
٣٠٨	ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس		الباب التاسع عشر في المراسلات
٣٠٩	خبر تنصر النعمان	٢٧٣	في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٢	الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان	٢٧٧	في الاشواق وحسن التواصل
٣١٣	ملوك كندة	٢٨١	فصول في التهنته
٣١٤	ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٢٨٢	في التوصية
٣١٦	ملحق بتاريخ العرب	٢٨٤	فصول في الذم
٣١٦	اديان العرب		
٣١٧	علوم العرب وآدابهم		

وجه	وجه
١٨٢	١٢٠
الباب الثاني عشر في الالغاز	المزاح
١٨٧	١٢١
الباب الثالث عشر في الوصف	الصدافة وخلوص المودّة
١٩٤	١٢٧
الباب الرابع عشر في الحكايات	المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٤	١٢٩
ابن الزبيرى ومعاوية	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٥	١٢٩
المنصور ومحمد بن جعفر	في العقل وماهيته وشرفه
١٩٦	١٣٣
عمر بن الخطّاب والعجوز	في العلم وشرفه
٢٠٠	١٣٨
معاوية والزرقاء	وصف الكتاب
٢٠٣	١٤١
كريمان حصلا على الامارة بكرهما	في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٨	١٤٢
يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك	في الشعر
٢٠٩	١٤٤
احسان كريم الى من قتل اباه	في الأدب
٢١١	١٤٧
جود معن بن زائدة	الأداب الظاهرة
٢١٢	١٥٠
ابراهيم الموصلي والمهدي	الباب التاسع في اللطائف
٢١٤	١٥٠
المرأة المتظلمة وابن المأمون	الحذاد والامير
٢١٥	١٥١
المرأة الكريمة	الحجاج والفتية
٢١٨	١٥٢
الاعرابي ومالك بن طوق	ابو العلاء وكتاب الفصوص
٢١٩	١٥٣
الحارثي والمعتصم	فتى فصيح علي بن الجهم والمتوكل
٢٢٠	١٥٤
قصة رجل اجار رجلاً استغاث به	درواس بن حبيب وهشام
٢٢٥	١٥٥
الباب الخامس عشر في الفكاهات	الشاعر المتروى
٢٢٥	١٥٦
سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	المنصور وابن هبيرة
٢٢٨	١٦٠
ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد	ابو عبادة الجعفري عند المتوكل
٢٣٠	١٦٢
ثقل وظريف	الركاض والرشيد
٢٣١	١٦٤
سنان بن ثابت والطيب القروي	الأعمى والأعور
٢٣٢	١٦٦
حذاء ابي القاسم الطنبوري	اولاد نزار عند الافعى
٢٣٥	١٦٧
الباب السادس عشر في النوادر	الباب العاشر في المدح
٢٣٥	١٧٦
ابن مقلة والواشي	الباب الحادي عشر في الفخر والعجب
	١٨١
	ابن كندة عند كسرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣	٣
٦٤	٣
٦٨	٤
٦٨	٧
٦٨	٩
٦٩	١٢
٧٢	١٥
٧٦	١٦
٧٩	١٦
٨٣	١٧
٨٥	١٨
٩١	١٩
٩٢	٢٩
٩٤	٣٠
٩٧	٣٢
٩٩	٣٥
١٠٣	٣٨
١٠٣	٤٦
١٠٥	٥٠
١٠٧	٥٢
١٠٩	٥٤
١١٠	٦٢
١١٣	٦٢
١١٤	٦٣
١١٧	٦٣
١١٩	٦٣

الباب الأول في التدئين

في كبرياته تعالى

الدعاء لله

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب

محبة الله والثقة به

الاستغفار الى الله

العالم العقلي

الباب الثاني في الزهد

في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس

عدي بن زيد والنعمان

ذلة الدنيا وزوالها

الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصيني

حفظ الحواس

الدهر وحوادثه

ذكر الموت

التوبة الى الله

الباب الثالث في المراثي

الباب الرابع في الحكم

نوادير بزرجمهر حكيم الفرس

حكم شاتاق الهندي

اشعار حكيمية

الباب الخامس في الامثال

فصل من نوادر كلام العرب

نبد من كلام الزمخشري والبستي

ومن أديانهم الجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية أصنام الذهب الشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس أعني الأصنام . وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : إن قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجرم وبتوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثل مريم موزناً وابنها عيسى في حجرها قاعداً موزناً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس صورتها لما دخل محمد الكعبة بل بقيتا إلى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (للتويري والازرقى)

٢ علوم العرب وآدابهم

٢١٣ فإما علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلافة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بأنواع الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لآعلى طريق تعلم الحقائق . وإمام علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ولاهياً طبائهم للعناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها . به يأخذون وإليه يصيرون . وكانوا لا يهينون إلا بفلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخر به إلا سيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون إلى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفخرون ويتعاطفون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القبايطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال لها معلمات لأنها علفت في أستار الكعبة . أمماً الكتابة فحكوا أن ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فعلمه قوم من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقطة القراطيس عندهم عمدوا إلى كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاميون من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لإبي الفرج والجوهري)

الْكُعبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُودُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للازرقى)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أوّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بصنم
 يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْش عندها فكان الرجل اذا قدم من سفرٍ بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْش فجعلت له يدًا من ذهب . وكانت له خزنة
 للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة ويقولون : انا اختلفنا فهب
 السراحا . ان لم تقله فمُر القِداحا . ولما دخل محمد الكعبة يوم فتح مكة كان بها ثلاثمائة وستون
 صنمًا فجعل يطوف على راحته ويطعنها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل . فنجسعت ثم حُرقت
 بالنار . وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظّمًا في الجاهلية والاسلام .
 تتبرك الناس به وقرءونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نُصِب صنم يُعرف بالحلصّة فكانوا
 يلبسوها القلائد ويجدون اليها الشعير والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويهقون
 عليها بيض النعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشنري
 وقيل ان اصل اسمه ذو شراه اي ساطع النور . والزهرة وزحل والمرج وغيرها من الثوابت .
 ومن معبوداتهم أيضًا المناة واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قديد .
 وكانت صخرة تُراق عليها دماء الذبائح وبتمسون منها المطر في الجذب . وكانت اللات أيضًا
 صخرة صنمًا للشمس اذا مرّ عليها الحاج يتوسخا بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
 ومنه اسم الجلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْش وبنو كنانة . ويطوفون بها بعد
 طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يومًا . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وترأى للسدنة وهم المحجبة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
 بثو خيفة في الجاهلية اتخذوا لها عبدوها دهرًا طويلًا ثم أصاحم مجاءً فأكلوه . فقيل في ذلك :

أكلت خيفة رَجًا زمن التعمم والمجاهة
 لم يحذروا من رَجَم سوء العقوبة والتباعة

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجُورِكُمْ . فَأَقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَنْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يَنْفُتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدِرَ دَمُهُ . (٢٠٧) ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْإِيْمَنِ
وَأَنْجَزَتْ خُرَاعَةَ بَمَكَّةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ نُبُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رِبْعِيَّةٌ
أَبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَمَكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْأَبْلِ وَحَمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَتْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْإِيْمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ . وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ . وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيْرَ الْحَنِيفِيَّةِ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةَ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصِيُّ الْقُرَشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصِيِّ بَرَقِ خَمْرِ قَبِيلٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصِيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَاحُوا عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَارَ
لِقُصِيِّ لِيُوَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةَ الْبَيْتِ وَتَمَنَّتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

ذَكَرَ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَهُمْ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَالْكَنَافُ كَانَتْ دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هُنَالِكَ وَكَانَتْ جِرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمَنُ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرُمُوتَ . وَأَصَابَ الْيَمَنُ قَحْطُ قَحْرًا وَتَحَوَّتْهَا مَاءٌ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعِمَالِقَةَ فَأَبَادُرَهُمْ . وَنَسَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جِرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوَفَّى بِمِائَةِ
وِثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جِرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْحِلُ حَتَّى
وَلَّوْا الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وِلَاةً وَحُجَّابَهُ وَوِلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وِلَايَةُ جِرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظِيمًا وَأَسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةِ
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَأْرِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطُؤُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جِرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَأَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضِيقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَارْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأسي . فغضب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل :

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوامٌ وفيت

بني لي عاديا حصنا حصينا وماء كلما شئت استقيت

رفيعاً تزلق العقبان عنه إذا ما نابني ضم أبيت

وأوصى عاديا قديماً بالآ تُحَدِّمُ يَا سَمُوءَلُ مَا بَنَيْتُ

(لابي الفداء)

نعم . قال : فحذوه . فتناول سبيط جفن السيف وأستل جذع نصله
وضربه به . فقيل : حذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوقعت
الحرب بين سايح وعسان فأخرجت عسان سايحاً من الشام وصاروا
ملوكاً . وأستقر ملك العساسنة ٤٠٠ سنة بديف (*) (لحزرة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفا أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) م بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك فاكل القوي الضيف حتى ملك
حجر وكان تبع حين أقبل ساراً الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن
سياسة وانزع من الخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استغله الحارث وعظم شأنه حتى
طرده أنوشروان وتبعته تغلب وعدة قبائل فظفروا بامواله وباربعين نفساً من بني حجر . فقتلهم
المنذر عن آخرهم وكان منهم ابنان من ولد الحارث . وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

بنو أسد قتلوا رجيم ألا كل شيء سواه خلل

ثم استجده امرؤ القيس بكر وتغلب على بني أسد فأنجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تخاذت عنه بكر وتغلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء . فنفرت جموع امرؤ القيس
خوفاً من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فآكرمه وأزله . وأقام امرؤ القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرعه
عند السموءل بن عادياء المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صا جي لما رأى الدرب دونه وألحق إننا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو غوت فنعدراً

قات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولما علم بموته هناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عيب

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بادرع
امرؤ القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تسلم الأدرع وإما قتلت
ابنك . فقال السموءل : لست أخفر دمتي فاصنع ما شئت . فدبح ابنه والسموءل ينظر اليه

وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيُّكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ الْأُمَّ الثَّلَاثَةَ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانَ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكِنَانِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَرْوِيهِ (٦٠٤ ب م) وَأَنْقَطَعَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الاعاني)

٣ الفساسة ملوك الشام بنوكهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالِ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْسِرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيَتْ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَامَ قَوْمٌ فَزَلُوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُوا غَسَّانًا . ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو الْعَسَّانِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا تَزَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ لَهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِجٍ فَضَرَبُوا عَلَى الْعَسَّاسِيَّةِ الْإِتَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جِبَاتِهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبْطَأُوهُ . فَتَقَصَّدَ سَيْطٌ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَهْجَنَّ لِي الْإِتَاوَةَ
أَوْ لَا خُذَنَّ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِيمَنْ يَرْتَجِعُ عَلَيْكَ
بِالْإِتَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِذْعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جِذْعٌ فَانِكَا .
فَأَتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِتَاوَةَ . قَالَ :

يَا آخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيَا مَنْ لَا حَيَاةَ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَيْلٌ أَكْرَمَ اللَّهُ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَا حَيْلُ الْحِمَالَةِ
 رَقِيكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَثَبَ شَرِيكَ وَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِيِّ بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةَ .
 فَقَالَ شَرِيكَ : فَإِنْ بَكَ صَدْرُهُ هَذَا الْيَوْمَ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ .
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرِي نَدِيمِهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمَهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّاءِيَّ . فَلَمَّا
 كَادَتِ الشَّمْسُ تَغِيْبُ قَامَ شَرِيكَ مُجْرَدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسِّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِيِّ قَدْ تَكْفَنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ .
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ . قَالَ :
 وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَأَعْرَضْهَا عَلَيَّ . فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَن شَرِيكَ وَالطَّاءِيَّ .

أَمَا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلَلْبُكَاءُ خَلِيقُ
 ثُمَّ رَكِبَ الْمُنْدِرُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنِجَاءِ الْغَرِيْبَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَبَدَا
 وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغَرِيْبَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
 يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلَعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
 مِائَةً مِنَ الْأَبِلِ شُومًا أَي سَوْدًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلَعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
 يُعْطِيهِ رَأْسَ ظُرْبَانَ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيُعْرِي بِدَمِهِ الْغَرِيْبَانَ .
 فَلَيْتَ بِذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طِيٍّ يُقَالُ لَهُ
 حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوْى النُّعْمَانَ فِي خِبانِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
 الصَّيْدِ وَأَنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطْرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
 يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
 النُّعْمَانُ وَأَفِداً إِلَيْهِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
 هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
 أَبْشِرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَأِلْهِي مِنْ خَيْرِكَ
 مَا رَأَيْتَ أَفَلَا تَكُنْ مِثْرَهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةَ
 أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ : تَوَجَّيْتُ سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
 حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِوٍ فَأَنْشَدَ :

يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِوٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه

يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَه

الْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأَمَّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَالِ الْأَبِي عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرَائِي
عَطَاءً وَجُودًا فَعَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كَثُومٌ
قَتَلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَارِثُ
أَبْنُ عَمْرٍو الْكِنْدِيُّ الْمَلَّبُ بِأَكْلِ الْمِرَارِ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أُورَاةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنَ
الْمُنْدِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعِ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشِرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْدِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ ثَلَاثَ سِنِينَ
ثُمَّ التُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسٍ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِي الَّذِي بَنَى الْغَرِيَيْنِ وَتَنَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ الْمُنْدِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلَّبُ بِأَبِي قَابُوسٍ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
بِظَهْرِ الْحَيْرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَقَعَلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأَخْبِرَ بِهِمَا لِكَيْمَا . فَتَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرُ بَيْنَ يَبُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَرُوقُ

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
 وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وُلْدِ أَرْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
 لِنَشْنِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوهِ مِنْ آدَابِ الْعَجَمِ . وَأَسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
 فَجَهَّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مَلِكِهِ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
 لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَأَسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُ وَأَجْتَمَعَ
 أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م)
 وَمَلِكٌ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ النَّصْرَانِيِّ
 فَتَرَهَّدَا (٤٦٩) . (*) وَمَلِكٌ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي أُنتَصَرَ
 عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلِكٌ
 أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نَعْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
 اسْتُخْلَفَ أَبُو يَعْفَرُ بْنُ عَلْقَمَةَ الذَّمِيلِيُّ (٥٠٣) . وَذَمِيلُ بَطْنٌ مِنْ خَلْمٍ . ثُمَّ
 مَلِكٌ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
 فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ وَتَعَضُّهُمْ . وَهُوَ
 أَيْضًا بَابِي الْعَذِيبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحِبُّ بِنَا النَّاقَةَ نَحْوَ الْعَذِيبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلِكُ الْمُنْذِرِ الثَّلَاثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقَبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدَ بَنِي
فَارَانَ فَفَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) . وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) . وَيَعْرِفُ أَمْرُو الْقَيْسَ هَذَا
بِالنُّذِيرِ وَالْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَبْنُ يَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوْرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) . وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرْدَ قَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بَهْرَامُ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِنَاءِ الْخَوْرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنَهُ الْخِلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اسْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيَّةٍ . وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَائِيَّةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَعَارًا قَدِ اتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَهَا الْفَرَسَ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَهَا تَنُوحَ . فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ . وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا صَاطِبًا لِمَلِكِهِ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْحَوْلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحِيرَةِ . وَالْحِيرَةُ يَوْمِيذِ
سَاحِلِ الْفَرَاتِ . وَلَمَّا اتَى عَلَى النُّعْمَانَ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*) .

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرٌ وَمَلِكًا
مُدَّةَ عُمُرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
وَتَجَبَّى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُّ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ فِي أَهْلِ فَارِسَ
أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
أَرَادَ مِمَّا يُؤَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُؤَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَوْخِ مَجَاوِرَةِ الْعِرَاقِ
عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
مَعَ مَلِكٍ فَحَقُّوا بِالشَّامِ وَأَنْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
مِنَ الْعَرَبِ يُحَدِّثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتَهُمْ فَيَخْرُجُونَ
إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحَيْرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
فَصَارَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَوْخٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
يَسْكُنُ الْمِظَالَ وَيُبُوتَ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الثُّرَاتِ مَا بَيْنَ الْحَيْرَةِ
إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالثَّلَاثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
الْحَيْرَةَ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالثَّلَاثُ الثَّلَاثُ الْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحَيْرَةُ أَيَّامَ
مُلِكِ عَمْرٍ وَبَنِ عَدِيِّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ
الْكُوفَةُ وَزَلَّهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ

(لنویری وحمزة الاصفهانی)

ملك امرئ القيس البدء والحرق والنعمان الاعود السامح

٤٠٦ ثم ملك من بعد عمرو بن عدي امرؤ القيس البدء وهو الأول
في كلامهم (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وهو أول من تنصر من ملوك آل

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَمَهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّتهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَأَسْتَوَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحَيْرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَنْجِي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيَسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنَ الْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةَ فِي أَشْرَفِ مَنَزِلَةٍ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكٍ . وَكَانَ جَذِيمَةَ
مَلِكًا مَعَدٍّ وَبَعْضَ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنَ حَسَّانِ
ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزُّبَّاءِ مَأَكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزُّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٥٥ قَوْرَثَ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحَيْرَةَ مَنَزَلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
بَعْدَهُ الْحَيْرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو وَيَطْلُبُ الثَّارِ مِنَ الزُّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحَسَّتِ
الزُّبَّاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقَلٍ فَصَارَتْ أَمْنَعُ مِنَ عِقَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرِ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئِهِ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزُّبَّاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنَ عَمْرُو وَوَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِمُدَاخَلَةِ الزُّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكِي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَافْكُرْتَهُ وَقَرَّبْتَهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُتُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَحَمَّهَا

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذيمة الابرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول فلم يصل إلينا تفصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تفرقت عرب اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاة وهما حيان من أحياء الأزدي من بني كهلان ممن تفرقت إلى العراق . فتمال ملك بن فهم الأزدي لما لك بن الفضاعي : نقيم بالبحرين وتخالف على من نوانا فتحالفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي ساغرة فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم الأزدي . وسارت قضاة إلى الشام مع مالك الفضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح) وكان منزله بالأبواب فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة راميه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شرأجزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك جذيمة الأبرش . (٢٥١ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد النكاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أَرَدَدْتَهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا
 ثَمَانِيَةَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَاهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزَرَ الدَّيْلَمِيِّ . فَتَوَافَقُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهَزَرَ ابْنَهُ أَنْ يُنَاشِئَهُمُ الْقِتَالَ
 فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فَيْلٍ عَلَيْهِ
 تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَعَلَّغَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَ وَابِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَمَ الْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مَلِكِهِمْ فِي الْيَمِينِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهَزَرَ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمِينِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرْسِ سَمَّيَهُمْ إِلَيْهِ . عَلَى
 فَرِيضَةٍ يُودِّيهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنَّ الصَّخَاكَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
 لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ حَوْلًا وَأَخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحِرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمِينِ وَأَسْمَرَتْ عَمَالُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بَأَذَانَ فَاسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمِينُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

الْقَلَيْسَ (*) فَأَنْتَشَرَ خَيْرُ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَوَأَهْلَكَ أَرْهَهُ
 (٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ أُنْبُوهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَأَسْتَحْفَلُ مَلِكُهُ
 وَأَذَلَّ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
 يَكْسُومٌ فَمَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (اللازريقي)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ ولما طال الابلاء من الحبشة على أهل اليمن خرج سيف ذي يزن
 الحميري من الأذواء بقية ذلك السلف وعقب أولئك الملوك . وديال
 الدولة الموفض للخمود . وقدم على قيصر (يوسينس) يستجده على
 الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على دين النصارى . فرجع إلى كسرى
 وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها
 من أرض العرب فشقها إليه . وأستهمله النعمان إلى حين وفادته على
 كسرى وأوفد معه وسأله النصر على الحبشة وشاور أهل دولته .
 فقالوا : في سجونك رجال حبستهم للقتل . إبعثهم معه فإن هلكوا كان

(٥) وكان القليس مربعاً مستوي التربع وجعل طولهُ في السماء ستين ذراعاً وحولهُ
 سورٌ بينهُ وبين القليس مائتا ذراعٍ مطبقٌ به من كل جانب وجعل بين ذلك كله حجارة
 تسميها أهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين أطباقها الابرة مطبقة به . وكان
 له باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلقُ العمل
 بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة بين اضعافها
 كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة جدرها بالفسيفساء وفيها صلبٌ منقوشة
 بالذهب والفضة وفيها رخامة ما يلي مطلع الشمس من البلقُ مربعة تعشي عين من نظر اليها من
 بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
 اللبغ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالٍ لَهُ دُوسٌ ذُو
تُعْلَبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَصِرُّهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِبَضْرِهِ . فَجَاءَهُهُ السُّفْنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدَ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَجْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
وَبَقِيَّتِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَجْرِ وَخَاضَ صَخْرًا ضَخْمًا . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
عَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرَ التَّبَاعَةِ .
(٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ تَمِّمِ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رَجَالَاتِ
حَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ أَنْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَةَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَا لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطُ عُظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَغَطَّارِيْفُهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةَ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسِّيفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَمْرَعِ السِّيفُ فِي دِمَاعِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جِوَادِهِ . فَأُلُوَ أَحْيَيْتُذِ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيًّا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بَصْنَعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
 سَيِّدُهُ أَسْتَسْرِجَ لَهُ الْبَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
 الصُّبْحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
 وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
 دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَنْدَلُهُ . فَقَالَ لَهُ
 سَيِّدُهُ : أَفَعَلِ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا مَنَحْنَا
 عَلَيْهِ . فِدَعَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
 أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عَيْسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
 وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
 النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَتَّهَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالْهَمْجَزَاتُ وَدَانَ
 الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
 وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقُتِلَ وَعَرَّضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
 يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
 فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي إِشِيءُ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
 امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةٌ أَشْهُرٌ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
 الْغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تَنَافِقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
 فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْمَجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ . وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَمِيرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَّاسٍ .
(٤٨٠ ب م) وَأَتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَّاسٍ هُوَ ابْنُ ثُبَّانِ
أَسَدٍ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مَلِكِ آبَائِهِ التَّبَاعَةِ لَسِمَى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
خَمِيرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى أَهْلِ حُكْمِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مَلِكِ التَّبَاعَةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكِرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الْإِمْنِ كَسَبَ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحْدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَفَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَيْنَ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطَّأ بِلَادَ الْعَرَبِ . فَأَخْتَطَفْتَهُمَا
سَيَّارَةً فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
نَحْلَةَ لَهُمْ طَوِيلَةً وَيَعْلَقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدْ اتَّبَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَسْرَافِهِمْ وَاتَّبَعَ

وَالْآتَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
 وَبَعْدَهُمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
 وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَقْتَمَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الضَّفَدِ وَرَاءَ
 جَبْحُونَ . فَقَاتِ الْعَجْمَ ثُمَّ كَنَدَ أَيُّ تَمْرٍ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
 فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَبْتَهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمْرَقَنْدَ . وَشَخَّصَ مِنَ الْيَمَنِ
 عَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
 وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَعْرَاءِ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
 قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
 الصِّينِ . قَالَ التَّوَيَّرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
 الْبَاسِ سَامِي الْأَهْمَةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَحَلَقَ بِأَبِي
 كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
 أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلِّ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةَ لِإِلْتِمَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسُرَّ
 بِهِ تَبَعٌ وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
 يَفْدُمُهُمْ حَتَّى أَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَجْجَةَ . فَتَوَعَّلُوا فِي فُلُوتِ سَحِيحَةٍ
 لَأَمَاءٍ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
 وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . وَتَعَاقَبَتِ الْمُلُوكُ عَلَى الْيَمَنِ دَهْرًا طَوِيلًا
 حَتَّى مَلَكَ عَمْرُ بْنُ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ وَقِيلَ لَهُ مُزِيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمَزَقَتْ لِلتَّلَايِجِدِ
 أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ق م) .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ. وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ. وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وِفَاتِهِ:

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِهْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بِنَوَالِهِ كَرَّمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ
وَلَمَّا ذَعِرَتْ خَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَدَتْ الْمَلِكَ شَرْحَبِيلَ.
فَجَرَى بَيْنَ شَرْحَبِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.
وَأَسْتَقَلَّ شَرْحَبِيلُ بِالْمَلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَدَهَادُ. (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمز مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةَ الْهَدَهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَتْ
عَلَيْهِ بِنْفِيسَ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مَلِكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمَلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ. لِأَنَّهُ قَلَدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْمَنَنِ
وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثَرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْتَجِعُوا. فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ يُصَبُّ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْحَطِّ الْمَسْنَدِ: هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ. فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَعْطَبَ.
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمَزُ مَرْعِشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَرْتَعَاشِ كَانَتْ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ. وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمَغَازِي

الغسانية إلى كهلان. وسنورد بالتلخيص أخبارهم (لابن خلدون)

١
ملك التباعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قال المسعودي: قيل للملك الين تباعة لأنه يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر. ولم يكونوا يسمون الملك منهم يتبع حتى يملك الين والسحر وحضر موت ومن لم يكن له شيء من هذا فيسمى ملكاً ولا يقال له تبع. وأما حمير فقد يعرف أيضاً بالعرنج (١٤٣٠ ق م). وقيل هو أول من تتوج بالذهب وأخرج ثمود من الين إلى الحجاز. ثم ملك بعده ابنه وائل. ولم يزل ملكهم على الين حتى مضت قرون وصار الأمر إلى شداد فغزا البلاد إلى أن بلغ أقصى المغرب وبني المدائن والمصانع وأبقى الآثار العظيمة. ثم اضطربت أحوال حمير وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الحارث وهو تبع الأول وفي بنه التباعة. وقد لقب الحارث بالرائش لأنه رأس الناس بالطاء مما كان أصابه في غزواته من السلب والغنائم (لحزرة الاصفهاني)

ملك افريس وذو الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثم ملك أبرهة ذو المنار ثم افريس (١٠٩٨ ق م) وذهب بقبايل العرب إلى افريقية وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان فأثرهم بها. ويقال إنه الذي سمى البريرة بهذا الاسم لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطابتهم قال: ما أكثر بريرتهم. فسموا البريرة.

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَعْرَبَ ابْنُهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامَهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
 الْغَزْوُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَا . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنَّوِيرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سد مأرب وتفرع بني سبا

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأُ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًّا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمِيرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَوَدَّوْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْدُخُ وَأَعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَعَفُوا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّابِعَةُ مُلُوكًا عَادَةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْبُطْهُمْ أَحْضَرٌ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ السَّوَارِدُ . وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أحوالهم وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ الْأَسْتِطَاعَةِ عَنِ طُمُوسٍ مِنَ الْفِكْرِ وَأَقْنَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأَصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَا مِنْ الْوُلْدِ كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ
 حِمِيرٌ وَعَمْرُوٌّ كَهْلَانٌ فَيَعزَى التَّابِعَةُ إِلَى حِمِيرٍ وَالْمَنَادِرَةُ إِلَى عَمْرُوٍّ وَيَتَمِي

فَلَيْسُوا مِنَ الْبَادِيَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجَيْلُ الْعَرَبَ الْمُتَعَرِّبَةَ لِئِنَّهُمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِبَةِ وَتَخَلَّقَهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ
أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبٌ يَقْطَانٌ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ الْيَمَنِ وَلَيْسَ التَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاَصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعِدِينَ عَنِ رِثَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفَهُ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمُخَاةٍ مِنَ الْأَهْرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرْفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْفَضَا فِصَالَهُمْ وَتَعَدَّدَتْ فِي جَوِّ الْقَفْرِ
أَفْحَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَتَمَّى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاهَمُوهُمْ بِمَنَّاكِبِهِمْ وَأَسْتَجَدُّوا خَلْقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى بِمِنَاوِيهِ
سُمِّيَتْ أَلْيَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَوَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْتِ اللَّعْنُ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ :
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَيْنَا فَصِرْتُمْ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكَنتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعَرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ الْإِيلِ وَصَوْمُ
 صَائِمٍ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ لِلْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةَ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُومَانَ إِلَى حَضْرُمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمُ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْأَمَاكِكِ وَأَسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا أُتْصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقُرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَوَلَّكَ جَمِيْعَهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَايِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسَمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنَ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُصَارًّا لَجَدِيسٍ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةٌ
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَاوَمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَتِلْقَائِهِمْ أَنْقَرَضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْتَقَطَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فِيهَا. ثُمَّ يَنْحَدِرُونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقَفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ
 إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَوَأَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا. وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
 وَظَمَائِنِهِمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا. فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
 مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
 صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ. شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْعَالِبِ
 وَلُبْسُ الْعِمَامِ تِيْجَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ. لِقُنُومٍ مِنْ أُمَّمِ الْبَرَبْرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
 اُعْتَقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجَرُوا تَنْكَبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطْرِزِيُّ: اُخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْتُقَ مِنْ
 الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ. وَالْأَصَحُّ
 أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تَهَامَةٍ وَدَعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
 كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبْرِ وَالتَّجْبُرِ. وَقَدْ
 قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرِّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ.
 أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
 لِتَقَادُمْ عَهْدِهِمْ. وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهِيَ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وُلْدِ قُحْطَانَ.
 وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهِيَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ. (نهاية الأرب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاذل

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ فَهِيَ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدْيِسٌ وَجَرَهُمْ
 الْأُولَى. وَقَدْ لَسِمَى هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

الباب العشرون في تاريخ العرب

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة . الحيام
لسكنائهم وأخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم . يقومون عليها ويقتاتون
من لبنها . ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها . ويحملون
أثقالهم على ظهورها . يتنازلون حلالاً مفترقةً ويتبعون الرزق في
غاب أحوالهم من القنص وتخطف الناس من السبل . ويتقلبون
دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ تارة وضبارة البرد أخرى .
وانتجاعاً لرعي غنمهم . وارتباداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل
أثقالهم ودفعهم ومنافعهم فأختصوا لذلك بسكنى الأقليم الثالث .
فعمروا اليمن والحجاز ومجداً وتهامة وما وراء ذلك لإختصاص هذه
البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف الأهلة بمن سواهم من
الأمم في فصل الربيع . وزخرف الأرض لرعي الكلاب والعشب
في منابتها والتنقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأوقات في
سنتهم من حبوبها . وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من
أضراهم بإفساد السابلة ورعي الزرع مخضراً وأنتباهه قائماً وحصيماً .
إلا ما حاطته الدولة وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتَ إِنْ الْحَقُّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثْرٌ بَارِدٌ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثْرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طارق يوصي ابن أبي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِمِيمِي وَوَقَّرْتُ لَهُ ذَهْبِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا وَأَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَابْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَانْكَتَفِ بِهَذَا مِنَّا (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الثَّقَّةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَسَطَّ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : مُوَصَّلُ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخَلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا آتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)

فِي اللَّهِ الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
 لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
 الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْأَجْرُ وَالْجَزَعَ يُعْقِبُهُ الْهَلْعُ . فَتَمَسَّكَ بِحِظِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَنْتَلِ
 بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتَدْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لابن عبد ربّه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزیه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
 فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
 فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضِيَتِ الدَّارَ
 لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِابْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَتْ أَنْتَ
 مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
 وَخَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ . لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بَعَلَّتِكَ حَالَ الْمَشَارِكِ
 فِيهَا بَأْسٌ يَنَالُنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَيْ
 مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُوَلِّمٌ مِنْهَا بِمَا يُوَلِّمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَضْرُوفٌ الْعِنَايَةِ
 إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ تَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى عُنْصُرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْبَتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرِبِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّبِيعَةَ

فصل لابن مكرم

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْفَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلِّينِ طَبِيعَتِهِ وَكِرْمِ جَوْهَرِهِ . وَلمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عَجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَدَنَسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ تَلْمَهُمُ الْمُجَدِّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْحَيَاةِ بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكًا
سَبِيلَهُ . وَلَا أَنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِفْحَامِ تَغْرِيدُ
 أَهْوَنِ بَدُنِيَا يُصِيبُ الْخَطِطُونَ بِهَا حَظَّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
 فَارَزَعُ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَفِرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةً مَحْمُودَةً وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهَرْتَ بِمَجَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وَدَكَ
 وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدَا وَضَعَ حِلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدير :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَنْتَهَوْا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مَنْ يَقْبَلُهُ رَأْيِكَ . وَيَقْدِمُهُ
 اخْتِيَارِكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُمُؤَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ مِمَّا يُطْمِعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِمِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَأَسْتَوْجِبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَفْتُوحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّوْقِيرِ اللَّطِيفِ
 فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ نَعْمًا بِعِتَابِكَ الَّذِي
 لَطْفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنِ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
 أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
 عِتَابُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانِ اللَّذَاتِ عَنِ
 النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد رى به الى يحيى وقال له : يا بني اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه بما يردعه
 عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا
 أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
 الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِذَ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مِنْ عَادٍ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
 يَسِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ
 بِغَيْرِ كَلَامِ الْأَمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا بَلَّغْتَهُ الْهَوَى
 وَالرَّأْيَ لِلنَّاكِثِ الْخَلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
 لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

أَهْلُ الْجَلِّ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ .

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحَلِّ النَّفِيسِ وَأُزْهِهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَعْتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَعِيرُكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى سَبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بَعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبَدَأْتُ بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعَقَبْتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُظْمِعَنِي أَوْلَكَ فِي إِخَانِكَ وَأَيْسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُجَّانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْمِنَا عَلَى ائْتِلَافٍ . وَأَفْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأُخْتِبَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي . وَلَكِنَّ الثَّمَةَ يَمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحْسِنُ مَا يَقْبِجُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

قوتهم فإنهم سارون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم
 بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة . حتى تكون لهم راحة يخيون فيها
 أنفسهم ويؤمن أسلحتهم وأمتعتهم . ونح منازلهم عن قري أهل
 الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تيق يدينه . وليكن عندك
 من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه . فإن
 الكذب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه . وليكن منك عند
 دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك
 وبينهم . ثم اذك أحراسك على عسكريك وتيقظ من البيات جهدك .
 والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم . والله المستعان

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه
 إليك . فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك معجور . وإنما غايتك في
 المعروف أن تحقره . وفي وليه أن تكفره

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توصلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل
 وذرائع الحمد فراراً من الفقر ورجاءً للغنى وأزددت بهما بعداً مما
 فيه تقربت وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت اللأمة بيني وبينك
 لإني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي . أمرت بالئس من

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفِذُ أَمْرَكَ .
فِيَالهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْعِمَكَ عَلَى مَنْ ذُوْنَكَ فَاحْتَرَسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ
سَقْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْتَرِ عَثْرَةً لَا لَعَالَهَا (أَي لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَتَّقُونَ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمُسْكِدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمُعَاصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عَدَّتُنَا
كَعَدَّتِهِمْ . فَإِنْ اسْتَوَيْنَا فِي الْمُعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَإِلَّا نَصَرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يَتَعَبُهُمْ . وَلَا
يُنْقِصُ بِهِمْ عَن مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

وَرِيئِهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصِّحَّةِ فِي
جَسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجَسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفْضِ الْعَيْشِ بِجَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لابي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعَيِّفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَأَسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْمًا فَلَا تُلَاقُوا لَهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ إِلَّا مُنْحَرَفًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وِلْدَانًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَخْلًا
وَلَا تَحْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجْرًا مُشْرَبًا . وَلَا تَعْرِقُوا بَيْهِيمَةً إِلَّا
بَيْهِيمَةً الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا إِذَا صَالَحْتُمْ .
وَسْتَمِرُّوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهْبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْيَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَاكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بَعَيْنُ
 الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُغْلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 الْقَاكِمَةِ التَّفَاحُ اجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّبَرِّ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْقَمُّ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِالطَّافِ الْعَيْدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَّرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يِعْزُّ عَلَى الْهَوَانِ
 زَيْدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصراني يهنئه ببره من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَمَةِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ الطَّيِّبِ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحسنة
(حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهُدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعُ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصْرَتْ
بِي هِمَّةٌ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :

مَا قَصْرَتْ هِمَّةٌ بَلَّغَتْ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا النَّدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سَنَةِ الْأَمْلَاقِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هُدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جارية من جواري المأمون تفاعه له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرَّعِيَّةِ فِي الْهُدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتَرَ الطَّافِيهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخْفُ مَوْتَهَا وَتَهْوُنُ كَلْفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا النَّعْتُ

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ ضَعِيفِي الْكُرْمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ ضَعِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتِكَ وَتَمَّ نِعْمَتِكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةٌ أَوْلَاهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَابِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِجَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعِيفِي وَأَسْتَكْنِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتِكَ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهَادَةِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
بِنَافِذَةٍ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَاللَّهُ نَيَّا كُلِّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَذْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجَبَ
 انْتِجَاعُهَا وَحَثُ الْمَطِيِّ فِي ابْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْيَقِ مَنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَجْبِئَتَهَا. وَالصَّنَاعَةُ تُوَلِّفُنَا أَسْبَابَهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَخٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشُّوقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسُنَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيَكْثُرُ دَوَاعِيَهُ
 تَصَاقِبُ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. تَمَّمَ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمُجَدَّدَةَ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْفِرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أُنْسَ بَعْدَهَا (لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِنْ عَانِي
 الظَّمَا بِفُرْقَتِكَ أَسْتَوْجِبُ الرَّبِّيَّ مِنْ رُوَيْتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجْرِدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُوَيْتِكَ وَيُوْنِسُنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًّا يَعْطِرُضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتَ طَيْبُ السَّمُولِ وَيُسْفَى
 الْغَلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَقْتَ شَمْلَنَا. وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَّمْتَ أَمْرَنَا

خُدَامِنَا لِلصَّحْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِمَهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنْ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخُدَمِنَا الْمَذْكُورُ لَا تُبْطِئُ وَهُوَ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْغَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
أَنْتَهَى . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصِقٌ بِلِسَانِي .
وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهْوَاتِي وَتَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْأَنْفِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَفُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَابِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسٌ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوهُ الى مَادِيَةِ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تَشْرِيفٌ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعَلِّمُهَا فِيهِ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا . حَالِيَةٌ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سِوَاءٍ مِنْ أَسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

لَتُوقِفُوا أَنْتُمْ نَقَصَرُ فِي أَعْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّةِ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكَتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْعِ النَّبِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَاكَشَ وَفَاسَ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكَ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّي
أَمْرِهِمُ الرِّيُّ لُوِيْزَ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى
أَمَا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَيَّ حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مَائِهِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُتَمَضِّنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَيَّ يَدِ نَائِبِ قَوْنُصُوكُمْ بَرْطَلْمِي
دِبْطُنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدِّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رِعْيَتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ
فِي الْمَمْلَكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَيَّ سَرِيرِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ
رِعْيَتِكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَيَّ الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفُنًا مِنْ سَفُنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلِيمٍ مِنَ الْغَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي آيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَاعَ اللَّهِ الْجَمِيلَةَ الْمَفْعَمَةَ السَّجَالِ. الْمُنْثَلَةَ فِي الْبُكْرِ
 وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ أَمْنَةٌ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
 خَدِيمِكُمُ الْمَرْعِيُّ الْمَخْوُوظُ الرَّزِيلِيُّ عَلَى مَرَسَى ثَغْرِ آسَفِ الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمُصْحُوبَ مَعَهُ لِحُدَامِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادَرُوا بِوُضُوءِهِ إِلَيْنَا
 فِي الْقُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحُبَّةِ وَتَأْسِيسِ
 الْهُدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَحْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَانِصِيِّينَ
 الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أُمَّ الْأَخْذِ
 وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أَسْتُوِيَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ. وَأَجْبَنَانَا
 عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
 الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيهِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْجَنَاتِيِّ. فَقَصَدَ أَنْ
 يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
 تَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحُدَيْمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمِثَابَتِهِ
 فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيَسْلَمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
 الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ آسَفٍ فَقَدْ خَدِيمِكُمْ مِنْ
 الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعْتُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْتَصَّ بَعْضُ
 الْحُدَامِ أَثْرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثْرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمِكُمْ عَلَى عَالَمٍ
 وَيَقِينُ أَنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَقَاقَ قَبْلَ
 وُضُوءِهِ. وَالْحَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْزَهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ الْإِزْعَاجُ قَبْلَ اسْتِفَائِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

الظلم والعبث والفساد في الأرض . فأعظمتنا ذلك ورأينا أن ننفذ
إلى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم لنا الله به من أعدائنا الظالمين الذين
يسعون في الأرض فسادا . فأنفذنا جماعة من المؤمنين إلى مدينة
حمص ونحن في إثرهم وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطاب
أعداء الله حيث كانوا . ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن
عوائده عندنا في أمثالهم . فيسبني أن يكون قلبك وقلوب من
أتبعك من أوليائنا وثيقا بالله وببصرة الذي لم يزل يعودنا في كل
من مرق من الطاعة وانحرف عن الإيمان . وتبادر إلينا بأخبار الناحية
وما يحدث فيها ولا تخف عنا شيئا من أمرها . سبحانك اللهم والحمد
لله رب العالمين (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوب العليُّ الإمامي عن الأمر العلوي الذي
دانت إطاعته الكريمة ممالكه الإسلامية . وأنقادت لدعوته الشريفة
الأقطار المغربية . وخضعت لأوامره العلية جبايرة الملوك السودانية .
وأقطارها القاصية والدانية . إلى الملك الذي له بين ملوك النصرانية
والملة المسيحية الرتبة العلية والمنزلة الرفيعة السامية . سلطان
فرانصة لويز ابن السلاطين الذين لهم الممكنة السامية المنار
أما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه فكتابنا هذا إليكم من حاضرنا
العليَّة مدينة مراکش ولا زائد إلا ما سنأه لا يالتنا الشريفة من عوائد

أَلْبَابُ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحقق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد

٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ نَزَلْنَا بَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةَ فِسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذِرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكِهَامَا إِلَى طَاعَتِنَا . فَإِنْ آتَيْتَ فَرُوحَ وَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ . وَإِنْ آتَيْتَ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ . فَلَا تَكُنْ كَأَلْبَاحِثٍ عَنِ حَتْفِهِ يَظْلِفُهُ . وَأَلْجَادِعِ مَارِينَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . وَالسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ . وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي . وَوَقَّدَ رَأْيَتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ . وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قَدَامَ قَدَمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ الْخُرَابِ وَالْقَحْطَ وَالْوَبَاءَ . وَإِثْمُ كُلِّ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الدَّاعِي جَعْفَرَ بْنَ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَى إِلَيْنَا مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفْرَةَ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَحْيَتِكَ مِنْ

الْبُخَارِ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانَ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمِزُّقُ السَّحَابَ تَمَزِيقًا عَنِيفًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرَبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 قَرُبًا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْحِرْقَةِ وَلَا تَضُرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا
 لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
 لِمَحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجْرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجْرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
 وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِغَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُيُولِ السَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ الْعَمَامِ .
 فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَفَتِ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يُجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(•) قد اضع الآن للطبيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهربائية وقد

أنواع على شرح ذلك في كتبهم

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَتَقْلَتُ
 وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُعودُ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِاللَّيْلِ
 وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوْ لَا فَصَارَ سَحَابًا رَاقِقًا .
 وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرَطًا أَجْمَدَ الْبُخَارِ فِي الْعَنِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ تِلْجَالًا لِأَنَّ الْبَرْدَ
 يُجْمَدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ وَتَحْتَاظُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرَّفِقِ فَلِذَلِكَ
 لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
 دَافِقًا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ فِي الْعُيُومِ وَتَرَكَمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
 بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
 مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّمْرِيرِ مِنْ فَوْقِ غَلْظِ الْبُخَارِ وَصَارَ مَاءً
 وَأَنْحَمَّتْ أَجْرَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثِّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
 سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَكَمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطْرَاتُ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
 بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
 بَرْدٌ مُفْرَطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَدَّتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
 لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْجُرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
 كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يَنْجَمِدْ نَزَلَ طَلًّا وَإِنْ انْجَمَدَ نَزَلَ صَفِيعًا

في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
 نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
 يَمَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

مُتَلِّئَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ ذُهْنِيَّةً . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شِبْرٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
 وَصُورِهَا وَمَزَاجِهَا وَالْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السُّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتَرَسِ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاؤُهَا وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتَمَدُّ عَلَيْهِ
 جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَّةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
 فِثَاغُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
 يَرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ
 فِي السَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَمَا يَتَعَلَقُ بِهِمَا

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
 لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالذُّخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قُدَامِهَا جِبَالٌ شَاخِئَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ قَوْعِهَا يَرْدُ الزَّمْهَرِيرُ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالذُّخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَنْفَلِطَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَتَّخِذَ فَيَتَّكُونَ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتْرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْتَضَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبِحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ. وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمُدُنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبِحَارِ. ثُمَّ يَبْرُقُ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغَيُومُ وَتَسْوِقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ. وَيَمُطِرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ. وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَأْسَا. وَإِنَّمَا خَلَقَتْ
بَارِدَةً يَأْسَةً لِأَجْلِ الْغَلِظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا. وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ. ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مَائِلًا
السَّمَاءِ. وَرِجْلُهُ مَائِلًا إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
أَنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرَ. ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْأَمْحِيطَ الْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِيٌّ عَلَى الْمَاءِ. عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
عَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحَدَّبًا. وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَسَاءً
وَلَا مُصَمِّتَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الْإِرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلُجَانُ. وَكُلُّهَا

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
الذَّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السَّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
زَمَانُ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاغَهُ صَائِقًا لَمْ تَغْلُ
قَدْرَهُ شَائِقًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرَمَتْ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
وَأَقْبَلَ الرَّبِيعَ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالشُّلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الشُّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
مَخْرُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِي الْأَوْشَالَ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي آسَافِلِ الْجِبَالِ
مَنَافِذُ ضَيِّمَةٌ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنْ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا
جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جريانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي آسَافِلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ أَنْقِطَاعِ الْمُدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِالْقَةِ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتِقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْخَرِيفِ
 وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُورِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أُسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ أُبْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْخَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ يَرُدُّ الْمَاءَ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرَ الزَّمَانِ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَيَبَسَّتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الثَّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالثَّمَرَ وَعَرِيَّ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيحِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَابْتَحَجَرَتِ
 الْحَشْرَاتُ . وَأَنْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْعَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيِيرَ الْهُوَاءِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْمَلَةٌ قَدَّوَلَّتْ أَيَّامُ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُورِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجَدْيِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَسِنَ الْهُوَاءُ وَتَعَرَّى الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتِ بَطُونُهَا وَقَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَابْتَحَجَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْعُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجُؤُ
 وَكَلَّحَ وَجَهَ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعُفَتِ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ وَأَعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الهَوَاءُ
 وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَعَتِ الْعَيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 العُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَأَنْفَعَتِ النُّورُ .
 وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَبَتَ الْبِهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَأَنْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنِ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَيَحْتَسِدُ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
 وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَأَشْتَدَّ
 الحَرُّ وَسَخَنَ الهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِتَ الْبِهَائِمُ .
 وَأَشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرَّيْفُ . وَأَنْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ المِيَاهُ . وَبَيَسَتِ
 العُشْبُ وَأَذْرَكَ الحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَأَتَسَعَ لِلنَّاسِ القُوَّةُ
 وَلِلطَّيْرِ الحَبُّ وَلِلْبِهَائِمِ العَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

السَّمَالِي مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السِّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبَهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّورِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامًّا الْخِلْقَةَ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ آخَرَ كَالرَّايِ . . . وَإِنَّمَا
أَلْفَوْا هَذِهِ الصُّورَ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشِّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَضْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وُرُودُ الْفُضُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
فَلَوْ أَنْتَقَلَ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لِأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُضُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَحْسَ لِمَاءِ حَرَكَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاخًا وَتَهَيُّجٌ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجَزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسُّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاخًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرُ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَأَبْتَدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِيِّ فِي الْجِبَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْحِجْرَةِ وَالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ

٣٤٤ وَهِيَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرْجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبٌ صَغَارٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ لَسَمِّيَهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحِجْرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تَرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةِ مَنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ . . .
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَأَثْنِينَ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ إِلَى تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةِ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَا لَ النَّصْفِ الْمُظْلَمِ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَظْهَرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةٌ هِيَ الْهَيْلَالُ . ثُمَّ يَتَزَايَدُ الْأَنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايَدُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلَّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اُعْتِبَارُ أَهْلِ التِّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبِجَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَنْتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتَ ابْتِدَاءِ الْمَدِّ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج
النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت
بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا ينبت تحت
النجيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شي من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذابت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإنها
رعى الحيوان إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
فتظهر فيها فراهة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال ترداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقرويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الثلك الأسفل وهو
جرم كئيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

الْجَنُوبِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْعُرْبِ .
 وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى
 تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
 السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
 جِزْمَ الْقَمَرِ كَمَدٍ فَيَحْبُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
 وَكَانَ فِي إِحْدَى نَقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُرْتَمَتْ
 الشَّمْسُ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
 لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكَثٌ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
 صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْإِنْجِلَاءِ . لَكِنْ
 يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
 الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَحَيْبَةُ . أَمَّا فِي
 الْعُلُويَّاتِ فَإِخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
 النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْجِبَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
 الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَجْرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْجِبَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
 الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذَهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
 الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْجِبَارِ فَيُنزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُجِيئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

الطَّيْبِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَجَمُّونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ. وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرِيخَ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمُشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي. وَزَحَلَ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ. وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي.
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِيمِ. وَالْبُرُوجَ كَالْبُلْدَانَ. وَالدرجاتِ كَالعساکِرِ.
وَالدَّقَائِقَ كَالْمَحَالَ. وَالثَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نِظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكَ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا أُنْحَدِرَتْ إِلَى فَلَكَ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ. وَلُطْفُ آخَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَإِلَّا لَأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهُمَا. لَكِنْ تَطَّلِعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَارَاهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شُعَاعِهَا. وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِتَعْمَّ فَايْدَتْهَا أَمَّا إِلَى الْجِهَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى ان الشمس في جوف الفلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس
وأبطل ما اعتقده القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

وَالْكَبِيرَاتِ وَالْقَيْرِ وَغَيْرِهَا وَأَجْلُهَا الْعَلَجُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بِلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْقَوَاكِبِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَابِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
وَيَفْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاطِئِ نَخْلَةٍ مُطَوَّقَةٌ بِعِنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبُؤَادِيِّ وَتَشَابِهِهَ أَجْزَائِهَا
فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطْرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ .
ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَأَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
مَنْفَعِهَا . فَلَمْ تَثْبُتْ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنْفَعَةٌ أَوْ مَنْفَعٌ يَقِفُ
فَهُمْ الْبَشَرُ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْفَسَامِهَا إِلَى
مَا يَطِيرُ وَيَسْجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبُقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّمْلِ فَإِنَّهَا
مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَرَى مَا يَتَّخِرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا الْبَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَدَاءَ
وَادِّخَارِهَا لَوْقَتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هِنْدَسَتِهَا وَنَضْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ .
وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعْجِبُ
مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعا

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

أَجْنَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَنَّهَا بَلْبَعٌ مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ أُمِّيَاهُ فِي أَوْسَاطِهَا كَأَنَّهَا لَتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْجُرُ
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيِي بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
الَّتِي بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِعَ الْمَكْشُوفُ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
بِالإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةِ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى خَلْقِ اللَّوْثِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَبْتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعَنْبَرِ وَأَصْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَقْدِفُهَا الْبَحْرُ وَتَسْتَخْرُجُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفْنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَاحِ
وَإِلَى اتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَاتِيِّ مَوَارِدِ الرِّيَاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَائِبُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمُودَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَمِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَرُجِّهِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبْرَجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَتِهَا
وَإِتِّخَاذِ الْحِلْيِ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِيِّ مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أُمَّتِلَانِهِ وَأَنْعَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجْرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَعَجَائِبُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِي مَا ذَكَرْنَا مِنْهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشُّهُبِ
وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقَالَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَتَلَاَعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرَشُّ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطْرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ يَرْفِقُ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِجَدِّهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَقِينُ
النَّبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحْبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِييُ الزَّرْعَ وَالشُّمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ أَكْنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْأَدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقْرًا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَطَّ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَعْتَهُ
 حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ أَنْطَلَقَ لِسَانَهُ
 بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمُرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
 عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدَهَشُ فِيهَا نُفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
 الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْهَسَادِ فَإِنَّ
 الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبِحَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَمَحَاقِمَةِ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاقَةٍ . ثُمَّ
 يَنْظُرُ إِلَى دَوَارِهَا مُخْتَلَفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ حَوِيَّةً . وَبَعْضُهَا
 حَمَائِلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
 ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
 تَعَمُّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
 وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
 نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
 أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
 إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
 وَغُرُوبِهَا كُلِّ يَوْمٍ . لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
 وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنِ وَقْتِ الإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنِ وَسْطِ السَّمَاءِ
 إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْحَرِيفُ .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِجَنُوبِ

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلَ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمُسَدَّاتِ الْمُسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِقُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْمُسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي أُتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتُهَا الْمُسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أودَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشَّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَتَقَدُّ فِيهِ الْغَدَاءُ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَعْطِيَةِ خِرَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءِ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يُنَشِّفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبْقَى كَأَلْبُرْنِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعْدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمُثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ الشَّجَرِيَّةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَغْرَقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهْوَاتِهِ وَقَدْ أَنْسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

أَعْلَاهُ قَنَةٌ تَنْقَطُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَشَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرُونَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا الْجَادِثَةَ حَصَنُوا حَرِيمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمَنْ الْعَجَبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَشَجِّرَةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
 لَا يُسَاعُ . وَأَلْقَيْنَا الْمُرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِفْلَاحَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَمَنْحُنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَوْمٌ زَكُوبٌ أَحَدُهُمَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِنَمِّهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِفَارٌ
 مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلِيطَةَ وَالْأُخْرَى بِبَابِيسَةَ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزَيْرَتَانِ لِأَعْمَارَةٍ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمُرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لابن جبير)

وَسَكَانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ. وَفُنَّا مِنْهَا سَحَرَ
 يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِقُرْبَةِ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ. فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْخْنَا الْأَبْدَانَ بِالِاسْتِحْمَامِ فِيهَا.
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِئِشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارِ أَكْثَرِ نَيْهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابِئِشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمَسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بِيضَاءِ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الرَّمَايِ
 وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَآكِبِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّ
 الْمُتْلَعُونَ إِلَى بَرِّ الْأُدُودَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
 فَالْسَفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهَبُّ الرِّيحُ
 الْمُؤَافِقَةُ. فَجَبَّرَاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَجَازِ الْقَرِيبِ. وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمُدُنِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَأَتَّصَلَ الْبَرُّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 صَيْقَةً. وَالْبَحْرُ فَغَرَفَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
 مِنَ الْإِسْتِدْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُؤَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَثٍ عَظِيمٍ. وَسَكَانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكُلِّ الْأَقْرَبِيِّينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبَرَكْنَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَا بَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطٌ السَّمْوِ مُتَّسِعٌ. فِي

مِثْلَهُ قَطُّ قَدْ رُصِعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ النُّصُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالسَّمْسِيَّاتِ الْمُدْهَبَاتِ مِنَ الرُّجَاجِ . فَتَخَطَفُ الْأَبْصَارَ
 بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحَدِّثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيهَا الَّذِي
 تَنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذَا الْكِنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسِنِ مُلْتَخَفَاتٌ مُتَنَبِّهَاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمُدْهَبِ وَالتَّخْفِضِ اللَّحْفِ الرَّائِقَةِ
 وَالتَّقَبُّنِ بِالنُّبِّ الْمُلَوَّنَةِ . وَأَتَعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمُدْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكِنَائِسِهِنَّ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخْضُبِ
 وَالتَّعْطُرِ . وَكَانَ مَقَامَنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَرْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِيِ
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابَنْشٍ بِسَبَبِ مَرَكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرِ مِثْلَ تَرْتِبِهَا طَيِّبًا وَكِرْمًا وَأَتْسَاعًا . فَشَبَّهْنَا بِقُبْنَانِيَّةِ
 قُرْطَبَةَ أَوْ هَذِهِ أَطِيبُ وَأَمْتَنُ . وَبِتَنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

الْأَبْصَارُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطِيَّةُ الْبُنْيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَنْحُوتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشُقُّهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عِيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِهَا ذُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِبَيْتِهَا قُصُورَهُ أُتْتَظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعَابِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُرْهَةِ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِبَاهَتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زُخِرَ بُنْيَانُهَا . وَرُقَّةَ بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانُهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صِيعَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَابَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ أَنْفَرُوا فِيهَا سَكَنَاتِهِمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التُّجَّارُ فِيهَا وَيَصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطَبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطَبَةَ . وَهَذَا الْقَصْرُ دِيَارٌ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجُومِ مُظْلَمَةٌ تَحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلْرَمَةَ) وَمِنْ عَجَبِ مَا شَاهَدْنَا مِنْهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٌ . وَقَدْ أَحْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرَأَى
 يَعْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَرْخُوفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْوَاحِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يُرْ

وَأَمْيَادِنِ الْمُنْتَظِمَةِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَرَاتِبِ الْعُمُودَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَا مِنْ مَجْلِسَاتِنَا فِي سَاحَةِ
فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَأَنْتَضَمَتْ بِجِوَانِبِهَا بِالْأَطَاتُ. وَالْمَجْلِسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا. فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاطِرِهِ.
فَاعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْلَفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَحْفَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَدْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَيْضًا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَاعْلَمْنَا. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصُرَافِنَا
بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالِدُعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلَمُهُ
بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِذِي جَنَبَرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطَا
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَاعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَشَى الْمَلِكُ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذِكْرُ بَلْرَمَةِ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
عَضَارَةَ وَنَضَارَةَ. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَأْنَعُ
أَخْضَرَ. عَتِيقَةً أَيْقَةً. مُشْرِقَةً مُؤْنِقَةً. تَطَّلَعُ بِمَرَايِ فِتَانٍ. وَتَخَابِلُ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاتِنٍ كُلِّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّ وَالشَّوَارِعُ. تَرُوقُ

وَيُؤَسِّنُونَا. فَأَيُّنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلِيْنَ مَقْصِدِهِمْ مَعَ السُّلْمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
 الْعَجَبَ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
 بِنَا الْأَعْيَاءَ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
 الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِأَزَابِهِ
 عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينٌ
 وَعَلَالِيٌّ مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مَرَافِقِ السُّكْنَى وَفِي
 أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَاءَ. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
 مَفْرُوشَةٌ بِحُضْرٍ تَطِيفُهُ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنَعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
 الْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
 مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بئرٌ عَذْبَةٌ. فِتْنًا فِي هَذَا
 الْمَسْجِدِ أَحْسَنُ مَبِيتٍ وَأَطْيَبُهُ. وَبِمَقْرَبَةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوَ الْمِيلِ إِلَى
 جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
 تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
 لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسْتَانَاتِ
 الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبِصُورٍ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
 بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنْعَنَا
 وَحَمَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غَلِيَامٌ وَأَدَيْنَا إِلَى
 الْمُسْتَحْفِ لَيْسَا لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسَرْنَا فِي
 بَيْتِ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِفَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِفْلَاحًا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحَجْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ ضَخْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلاً . فَأَنْتَقَلْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُورِقٍ ثَانٍ أَكْثَرِيَانَهُ لِيَكُونَ الْبَحْرِيَيْنِ
 صَحْبُونَ فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضَعًا مِنْ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتَشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيْعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجْمَةٌ قَدْ
 أَغْتَتْ أَهْلَهَا عَنِ اتِّخَاذِ حَمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْتَنَاهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَمَا
 بِهَا لَيْلَةٌ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلاً .
 وَبَيْنَمَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِبَلْرَمَةَ خَمْسَةَ
 وَعِشْرُونَ مِيلاً . فَخَشِينَا طَوْلَ الْمَقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثَ الزُّورِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَيْفًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّلْنَا بَعْضَ أَسْبَابِنَا وَحَافَلْنَا بَعْضَ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَانَهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّأَفُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِمَحِثٍ بِبَصْرَةٍ
 رَأَى الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزُّورِقَ
 أَهْنًا تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقَرَى مُتَّصِلَةً وَحِصُونَ
 وَمَعَاقِلَ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةً . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ
 قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَعَةً عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهَا
 النَّارُ دَلِيمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَآءَ ذَاتَ
 أَلْسُنٍ تَصْعَدُ فِي الْجُيُودِ . وَهُوَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنْ خُرُوجَهَا
 مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجَبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيَّةٌ بِقُوَّةٍ
 شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرَبَّمَا قَذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
 الْهَوَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِتْنَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
 وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمُسْمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
 الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
 الْعَرِمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكَبُ بَيْجَهُ
 عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَعُوضَ فِيهِ . فَسَبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
 وَحَلَلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْحِصْبِ وَاسِعَةٌ
 الْمَرَافِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مَرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
 طَائِفَةٌ مِنَ الْمَسَامِينِ . وَعَلَيْهَا قُنَّةٌ جَبَلٌ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَاعَةٌ لَمْ
 يَرَأْمَعُ مِنْهَا أَخْذُوهَا عِدَّةٌ لِأَسْطُولِ يَفْجَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةٍ

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكَهَا . وَالْمُسَامُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 يَعْرِفُونَهَا بِبَلْرَمَةَ . وَفِيهَا سَكَنَى الْحَضَرِيِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَوَبَلْرَمَةَ هَذِهِ مَسْكِنٌ مُلِكِهِمْ غَلِيَامٌ . وَهِيَ أَحْفَلُ مَدُنٍ صِقْلِيَّةٍ
 وَبَعْدَهَا مَسِينَةٌ وَشَأْنُ مُلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
 كَثِيرُ الثَّقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَمُونَ بِخِصَاتِهِ . وَعَالِيهِمْ يَلُوحُ
 رَوْنَقٌ مَمْلُوكَةٌ . لِأَنَّهُمْ مُتَسَعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاحِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْقَارِهَةِ .
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
 الْمَشِيدَةُ وَالْبَسَاتِينَ الْأَنْيَقَةَ وَلَا سِيَّمَا بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ .
 وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَيْضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
 مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
 تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيْبِهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُمَّهَاتِهِ
 الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
 وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
 ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فُقَيْهًا اجْتَازَ بِلَدِّهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
 مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْعَتِذَاتُ بِهِ أَنَّهُ يَتْرَأُ وَيَكْتَبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
 وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
 لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ . فَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْمَانَا بِهَا تِسْعَةَ
 أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زُورَقٍ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَدَّةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَجْرُ يَعْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَنْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَجْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكِبَارَ تَدْوُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسِكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشْبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحِمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيعِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبَعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُضْطَّةً مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطَفَافِ الْحِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَجْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَفَاقٌ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرَيْثَةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسُّحْبِ لِإِفْرَاطِ سُمُوهِ وَيَعْتَمُّ بِالْقَلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرَّفَاهَةِ . مَشْحُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينُ مُثْمَرَةٌ بِالْتِّفَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطَ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِجَاصِ
وغيرها مِنَ الْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُونَ ذَوِي الْمَهَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ سَقَامُ الْأَلْبَابِ. حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ. وَتَطِيشَ مَعَهُ الْعُقُولُ. وَتَطِيحَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ. وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ يُشَيِّبُ الْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ. وَهَوْلُ السِّيَاقِ أَهْوَنُ مِنْ الْفِرَاقِ. وَقَالَ النَّظَامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَعَتِ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ الْجِبَالَ. وَجَمْرُ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوْهَجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَنْ يَنَاعَنَ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رَعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقٌ قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رَزَقْتَ وَإِنَّمَا
بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ الْأَلِيبُ وَيَرْزُقُ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا
أَلْحَظُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمَلْفِقُ
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا
ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسِيرِهِ
وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُخْفِقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسبنة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التِّجَارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي النِّجْرِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ. لَا يَبْقُرُ فِيهَا مُسْلِمٌ قَرَارًا. مَشْحُونَةٌ بَعْدَةَ الصُّلْبَانِ تَغْصُ بِقَاطِنِيهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعَا سَاكِنِيهَا. أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيَّةٌ. وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِأَرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ. لَا تَرَالُ

فَذَاكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَقْلٍ بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا ظَهَرَا
فَنَفْسِكَ فَرِيضًا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَعْنَى مَنْ بَنَاهَا
فَأِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
الْتِّلَاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحُظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَبْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَاسْتِنَابُ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ الْإِجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ عُمَّةٌ
يُحَقِّقُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّحِيلِ الْمَاءَ وَلِلْيَمِينِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
وَأَنْسُ الْقِيَامَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسْلِيمِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشُّوقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمَكَاتِبَةِ (لِلْقُدْسِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرِحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّمِ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النَّطْرُونِيِّ :

بَاتَتْ تَصُدُّعَ عَنِ النَّوَى وَتَتَسَوَّلُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَنَاءِ عَةٍ لِلدَّقَامِ الْأَطْيَبِ
فَأَجِبْهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَابُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجَذَّبُ

أَبْوَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَاسِهِمْ أَنْسُكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتَ عَنْهُ نَفْسُكَ. رَبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قِضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للثعالبي) أَنْشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيِّ:

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانٍ بِهَا وَجَابِ الذَّلَّ إِنَّ الذَّلَّ يُجْتَنَبُ
وَأَرْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقِصَةً فَلَمُنْدَلِ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخِرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ تَضَامٍ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبِلَدَتِهِ فَلَا اغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَعْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَقَرَّبَ نَالَ الْعِزَّ أَجْمَعَهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَمَسِّعٌ فَضَاهَا

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنات هيكلاً فيه صنم كان واقفاً في وسط أليت . لا يقامه من أسفله تدعّمه ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه واقفاً في الهواء تعجب . وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من الهدايا كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوقود . وأما أليت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصمغ بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر الفائق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه ورأى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فوافقه قوم وخالفه آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب . فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقزويني)

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْنَا. فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُرَّةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا.
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ. فَأَنشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ:
مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي الْأَوْمَ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكَهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبِلَا
بَرَى الْبَجِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي فِي قُفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَصَبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَزَلُّوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَصَبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يَجِدُّ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَانِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : اسْقِ
لِحَاكِ النَّمْرِيِّ فَشَرِبَ النَّمْرِيُّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
تَزَلُّوا مِنْ الْعَدَمِ مَنَزِلَهُمْ الْآخَرَ فَتَصَافَنُوا بِقِيَّةِ مَالِهِمْ . فَظَنَرَ إِلَيْهِ كَنَظْرَهُ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِضِ وَكَانُوا قَدْرُ بُوا مِنْ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَعْبُ إِنْكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسَوُا مِنْهُ حَمِيمًا عَلَيْهِ ثُبُوبٌ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّبْعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكَوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (اخبار العرب لابن قتيبة)

قَادِحُونَ فِي مَلِكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبرْهِيمَ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَقَدِّمُ
الذِّكْرِ فِي الْحَبَاءِ مَثُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مَفْرُطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّاسِكِ إِلَى حِزِّ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدُفِنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ أُمْرَأَةٌ حَاتِمٍ : أَصَابَتْ نَسْنَةً أَقْشَعَرَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْإِبِلُ حِدْبَاءَ حَدَابِيرَ . وَضَتَّ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَأَتَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيَقْنَا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَبِي لَيْلَةٍ صَنِيرِ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئَتَا جُوعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّيِّينِ وَقَتُّ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكَنُوا إِلَّا بَعْدَ
هُدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّبُنِي بِالْحَدِيثِ فَفَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّمْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتِكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوَنَ عَوَاءُ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجَبِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَاهُمْ . فَأَقْبَلَتْ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِشِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نِعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبْتَهُ بِمُدِيَّةِ
فَحَرَ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعَا عَلَى اللَّحْمِ لَشْوِي وَنَاكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَالتَّفَعَّعَ فِي ثَوْبِهِ

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيَ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمَعَ حَوَائِجَكَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةً . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنِ هَذَا الْخِبَاءِ وَتَدْعَنِي أُبَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلِمَهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهَبُهُ الْخِبَاءَ لِأَنَّهُ
 عَجِبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أَوْلِيَاكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يَصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَرَوْا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى اتَّوَا مَرَائِشَ وَرَأَمُوا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَّوَا الْبُؤَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَقَرَّبُوا بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَيْدِ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَيْدَ غَابُوهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصِيدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَائِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرِغَةَ بَلَغَهُ أَنَّ

٣٣١ نَسَخَةُ مُبَايَعَةِ مَلِكِ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنْقَرًا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عَرَفَا مِنْ جَلْقِ
 قَبَاعِهِ وَقِطْعَةِ أَرْضٍ وَقِيعِهِ بَغُوطَةِ الْكُورَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي السَّبْعِ مَعَ الْفِرَاسِ
 وَذَرَعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِسَلَا تِرَاعِ
 وَذَرَعَهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكِ التَّقِي وَجَابِرِ الرَّوْمِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَالْغَرْبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 يَمَعًا صَحِيحًا لِأَزْمَا شَرْعِيًّا ثُمَّ شِرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ يُبْطِلُهُ وَلَا خِيَارَ لهُمَا يُدَاخِلُهُ
 شَمْنٌ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مَبِيضَةٌ
 قَبْضًا الْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةٌ
 وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضَ الْفِضَّةِ مِنْهُ وَحَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفْرُقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
 وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مرورۃ اسماعیل الهزرجی

٣٣٢ نَارِعَ الْخَلِيفَةَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوْرْتٍ وَأَتَتْهُمَا

المؤمنين يطلبون الأمان على أنفسهم على أن يخرجوا له من المدينة .
فأبى ذلك عليهم وأطعمه فيهم ما نقل إليه من شدة عطشهم وكثرة
من يموت منهم . فلما ينسوا مما عنده سمع لهم بعض الليالي لغط عظيم
وجلبة أصوات . وذلك أنهم أخرجوا أناجيلهم واجتمع قسيسوهم
ورهبانهم يدعون ويؤمن بأقبيهم . فجاء مطر عظيم كأنه القرب ملا ما كان
عندهم من الصهاريج . فشربوا وأرتقوا وتقفوا على المسامين . فأنصرف
عنهم الخليفة راجعا إلى إشبيلية بعد أن هادن الأذفئس (للكاشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ ومن عجائب مشاهد مضر المشهد العظيم الشأن الذي بالقاهرة
حيث رأس الحسين . وهو في تابوت من فضة مدفون قد بني عليه
بنيان يقصر الوصف عنه . مجلل بأنواع الديباج مخوف بأمثال العمدة
الكبار سمعا بيضاء أكثرها موضوع في أنوار الفضة . وحف أعلاه
كله بأمثال التفافج ذهبيا في مصنع شبه الروضة . يبهر الأبصار
حسنا وجمالا . وفيه أنواع الرخام المعجز الغريب الصنعة البديع
الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إليها من مسجد على مثالها
في التائق . حيطانه كلها رخام . وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار
الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص
كلها كأنه المرأة الهندية . ولتراحم الناس على القبر وأنكبهم عليه
وتسحبه به وبالكسوة التي عليه رأى هائل (للكاشي)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حكي أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مِقْلَةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْحُطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَقَبِلَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مِقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَأَلْزَمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي أَلْدَهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَانْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيَسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفُنْشِ . فَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ لُصِّي وَبَذَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أُشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهَمِّ الْعَطْشِ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَيَّ جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبْسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنْيفِ الْحَنَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَهُ الْكَنْيفِ فَفَاضَ وَصَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكُرْهِيَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَمَلَّوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنْيفِ فَغَرِمَ جَمَلَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُنْتَظَمٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جَرْحًا بَلِيغًا . فَظَنُّوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْجُرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَفَنَدَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامًا بَرِيًّا مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسَ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَّاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ فَتَشَّ عَلَى مَدَّاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانِنَا أَتَرُونَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَبْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَشَّوْا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مَدَّةً
 وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَّاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى الدَّجَلَةِ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَعَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَّاسَ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي الدَّجَلَةِ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَنَّ فَرَأَى طَائِقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَقْرَاهُ أَقْرَنِي هَذَا الْمَدَّاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنُهُ فِيهَا وَيُرْتَحَ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْجِيرَانَ حَسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَزَجَّوْا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

حذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري .
وكان له مداس صار له وهو يلبسه سبع سنين . وكان كلما تقطع
منه موضع جعل مكانه رقيقة إلى أن صار إلى غاية الثقل وصار الناس
يضرِبون به المثل . فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج . فقال له
سَمْسَارُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تاجرٌ مِنْ حَبِّ وَمَعَهُ جَمَلٌ
زُجَاجٍ مُذْهَبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سَمْسَارٌ آخَرٌ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيدِينَ تاجرٌ وَمَعَهُ ماءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَعَجَلَةَ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَّاهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذْهَبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ اشْتَهِيَ أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَائِسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

يَا كَوْكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى نَحْسِ رُحَلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي أَمْتِحَانِ
الْأَطِبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشْرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنَظَرِهِ
وَرَفَعْتَهُ. ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدِ اسْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْفَظُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكَرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَصَوَّكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَعْجِمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسَهِّلٍ إِلَّا
بِمَا قَرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مَذْكَرْتُ مَا تَعَدَّيْتُ
السُّلَّحِينَ وَالْجُلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْهَيْبَةِ مَلِجٌ الْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابن الفرج)

جَمَاهُمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فُتَعَارَ . وَأَعْنَاقَهُمْ لَيْسَتْ بِكِرَاثٍ فَتَبَّتْ . وَقَالَ :
 يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغَيْرِ جُرْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
 فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ
 ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
 عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَأْمُرُ مَا أَهْدَى جَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ الْفِي جَمَلٍ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحَلَلٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَأَكْتَبُوا	إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ الْفِي سِجِلٌ	فَأَضْمَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ وَقَدْ أَضَجَرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبْتَئُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَكُنْتُ فَرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَأَعْتَمَدَ عَلَى خَشْبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَفْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَحُجْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَمَارِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخْذُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمَّ : غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَعَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمُوصِلِيَّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِسَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فَحَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمَ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ وَصَدَّقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أَمْوَالًا وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمَاتٌ إِلَيْهِ (الآغَانِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَشَدَّتِ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ الْيَحْمَدِيِّ : أَمِدْنَا بِخَيْلِ
الْيَحْمَدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي وَبَقِيَ
نِصْفُهُ . فَضَحِكْتُ حَتَّى اسْتَلَقْتُ وَأَسْتَفَرَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتِي بِهِ وَأَمْرٌ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَقِيَ نِصْفُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَعَاهُ الْوَقْعَ أَقْبَلْتُ
الْوَمُءَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكِنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدْسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْبِ مِنْ عِتَابِي لِلخَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نِصْفَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعَدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فِضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَكَ لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَفَسَّمَهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي و ابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِابْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِيِّ وَابْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلَيْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَعَنِّي فِيهِ حُتْمًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرٍ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِيِّ : قَسَمْتُ فِي السَّحْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّقِ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ النَّجْمِ دَعَوْتُ بَعْلَمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيْنٍ خَفِيفٍ . وَأَلْتَفْتُ فَإِذَا بَجْرَابٍ مِنْ
 أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَجْحٌ .
 إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَسْرُ صَفَعَاتِ بَجْرَابٍ
 مَنفُوحِ شَيْءٍ هَيَّزٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّعَاشَةِ
 وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا نُحْنِتٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
 نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
 وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
 رَأْسِي . وَقَفَرْتُ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا عُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
 مِنَ الضَّحْكَ . وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَسَمُّ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
 مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
 نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
 صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى .
 فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعٌ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
 ظَهْرِي فَصُفَعْتُ بِالْحِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
 وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مَدُورًا فَصُفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رِقَبَتِي
 وَطَنَّتْ أُذُنَايَ وَأَنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحَّتْ : يَا سَيِّدِي نَعِيمَةٌ .
 فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَعِيمَتِكَ . فَقُلْتُ :
 يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْخِيَانَةِ .
 وَقَدْ صَنَيْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قَلْبِهَا وَكُثْرِهَا .

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ خَنُّ أَبِي مَنْصُورِ الْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَزَالَكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن الغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَآيَةً فِي الْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَأَتَنَادَرُ
فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخُدَمِ فَأَعْجِبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قَفَّتِ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ نُضْحِكُ الْكُتُوبِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفِ جَائِزَتِكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلِيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرِ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةَ تَفْتَحُ
الْحَيْلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَمِسُّ بِرِهِمْ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْرُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ
أَنَامَ أَضْحَكَ أَصْفَعُكَ بِذَلِكَ الْجِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْفُكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ بِحَبِّ يَطْبُ مِنْهُ فَرُوءَةٌ:

بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَنُورِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ۚ مِنْ جَدْوَالِكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمُ أَبِي خُرُوفٍ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَابِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ:

رَأَيْتَكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْخَزْفَ فِيهَا وَسَاحٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقَ يَأْفِدْتِكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تَعُدْ فَتَحْلَمَ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْغَانًا (للأزدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَدِيَّةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ:

فَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنَّوَالِ وَمَنْ لِلْمَعَالِي وَمَنْ لِلنَّخْبِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكِمَاةِ إِذَا مَا الْكِمَاةُ جَثُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَلَّتْ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَأَكْلُهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُقَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَيَّ كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدِ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتَطْلُقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ . لِنُقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَنُجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا الْكُبْرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَبِي
وَأُمِّي إِنْ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرَبَ لِحَوْفِهِ عَلَيَّ عُنُقِي
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتُ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمْضِ مُسْرِعًا وَأَتْنِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقِرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَمَحِنَ رَأَاهُ رَحَبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ
بِحَانِيهِ وَآكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقِرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَأْمُرُهُمْ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِحَوَانِحِهِ (لِلتَّائِيدِ)

رَأْسِي فَرِحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقَّقْتُهُ فَمَتَّ حِينَئِذٍ وَكَسَّرْتُ
أَقْفَالَ قُبُودِهِ وَهُوَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَبَى لِبَسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبَسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَادُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْفِدَكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَن بَغْدَادَ بِمَرَّاحِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَيْدِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذَ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا يَا بَنِي آدَمَ الَّذِي حَرَكْتُ
الْفَتَنَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ عِنْدِي وَدَائِعَ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطَّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جِدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَطْنَنَّ أَنِّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَسْكَانٍ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنَّ عَفَا عَنكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرَبُ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَفْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِذَا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكُرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَى بَنِي وَحَدِي قَامَ عَرَقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

وَمُعْجَبًا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَحَثَّتْ بِأَبِي جَعْفَرِ
 الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرِ الْعَمِيقِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
 وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
 فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ. قُلْتُ لَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ خُذْ
 هَذَا الرَّجُلَ وَأَحْتَفِظْ بِهِ وَغَدَا أَتَيْتَنِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فَقِدَ مِنْكَ فَلَا
 أَرْضَى إِلَّا بِبُعْتِكَ. قُلْتُ سَمِعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَنَظَرْتُ
 فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ سَيِّحًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ
 فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزَكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَلِكثْرَةِ حِرْصِي
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَّشُوا لَنَا
 مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرْفَ
 قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَقْتُ عَلَيْهَا . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرَبَ
 فَيُرْوَحَ عُنُقِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامَانِي فِجَاءُوا
 بِالْمَاءِ دُونَ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَكَلَّمْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
 أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
 شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ : مِنَ الشَّامِ . قُلْتُ : أَتَعْرِفُ فُلَانَ الْفُلَانِيَّ
 فِي الشَّامِ . فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ . قُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
 أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِيهِ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فَتَةِ الشَّامِ .
 فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . فَطَارَ عَقْلِي مِنْ

مَرَحِبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَدْخَلَ هَذِهِ الْمُقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حَرَمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلَعْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدَحَضَتِ الرَّجَالُ فِي
 طَلْبِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ زَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرْنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفَّسْ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَفَتَّشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمُقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَقَّ بَوَلِي نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَاْفَى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِينَارًا وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ قَامِلًا إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَكَبُرَ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَجْهِي
 وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
 وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ
 فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِبِعْطَةٍ
 قَالَ فَبِكَيْ الْمُعْتَصِمِ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
 وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ وَقَدْ وَهَبْتَكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
 وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
 (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلاً استغاث به وكان خائفاً على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حَكَى الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَّاحُ
 الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَسْتَوَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
 جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُتَعْصِبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً
 عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ
 وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . فَقَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
 الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبْرُ وَأَنَا
 مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِابْتِاعِ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَذْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
 وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بِهَا مَفْطُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيْبًا جَالِسًا
 فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ : خَافٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَذْرَكُهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدِرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا بِتَوْبَيْنِ . فَثَرَّتِ الدَّرَاهِمُ
 وَوَقَعَتِ الثِّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيَّ وَأَخْتَلَطَ
 عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
 الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
 يُنْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
 يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جُمَيْلٍ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مُؤَكَّبٍ وَقَدْ جَسَّ
 الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شُكَاؤُهُ وَقَدَهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
 بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
 يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 (جَبْرَ اللَّهِ بِهِ صَدَعَ الدِّينَ . وَلَمْ شَعَثِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
 وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصَدَعُ
 الْأَفْئِدَةَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرْيُورَةُ وَأَنْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
 أَلْيَقُ شَيْبِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمِنَا يَلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ لَا أَتَلَقُّ

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَا جَدِ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَى

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ الْحَالِ رَثَّ
 الْحَيْثَةِ. فَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ الزُّهْرَةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشُّرْطَةُ
 أَرْدِرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ شُرْطِكَ. فَفَهَاهُمْ عَنْهُ وَأَبَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ. قَالَ: وَمَاهِي. قَالَ: أَنْ تُصْنِيَ
 إِلَيَّ بِسْمَعِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أُنْشَدَ:
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَزَلْتُ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى تَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَيَمْنَعُنِي الْحُجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرَّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُمْ ذِيَابُ جِيَاعٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُثْمَلًا وَأَصْرَفُ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِي وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسُ وَخَنْدِيفُ
 تَخَطَّتْ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرَحَلْتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتَ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجِئْتُكَ أَبْنِي الْخَيْرِ مِنْكَ فَهَزَّنِي بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ صُفُوفُ
 فَلَا تَجْعَلْنِي لِي تَحْوَ بِبَابِكَ عَوْدَةً فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ تَخُوفُ
 فَاسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخُبْرَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . إِلَهٌ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوَيِّرُ فِي الْحِسَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَتَوَا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّكُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَجِبُ أَنْ أَصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلِّمَ
 شَعْبَكُمْ . فَقَالُوا : إِنْ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَن سُؤَالٍ أَوْ مَكَافَأَةٍ لِفِعْلِ
 قَدِيمٍ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْهُ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحْتُمُهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مُبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمْرَهُمْ بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعُجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخُبْرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالَ عَظِيمٍ كَرِيمٍ الْخَطْرُ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلِهِ بِأَنْ يَسْتَرِقَ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتْ الْعُجُوزُ :

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَأَشِيءُ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْنَعِينَ التَّنْصِفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَحُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبِكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذُرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتِكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتَ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَبْهَثُونَ بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَأَلَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَسْهَرُ السَّيْرِ
وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَدَّخَرْتَ لِنَيْكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَدَّخِرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمُ طَيِّ حَيْثُ قَالَ :

وَلَمَّا دَأَبْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعْجِبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْوَاحِدُ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصْمُ . فَقَالَتْ : الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا جُلُوسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعْمَا
يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرِدِّصِعَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
الْعَبَّاسُ بَظْلَمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِلَدِّهَا أَنْ يُؤْغَرَ لَهَا
صِعَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حكي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْوَادِ الْكِرَامِ
فَنَزَلَ مَنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَابَ مِنْ غِلْمَانِهِ
طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَكِيلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِيَّةِ فَأَعْلَمَكَ تَجِدُ
رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغِلْمَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْتَاعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بِنَاتِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُوكُ . قَالَتْ : فِي رِغِي لَهُمْ
وَهَذَا أَوْانٌ أَوْبَتِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتِ لَكَ وَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

خَرَجْتَا مِنْهُ . فَمَكَنتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقَلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارُ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لِيَطُولَ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنَنَّ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي (وَكُلُّ مِثْمَلٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُنْغِضَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الاعاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّمَهُمُ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٌ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَظَنَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرُّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَتْرِكْ لَهَا سَبْدًا
 وَأَبْتَرَتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعْتِهَا ظَلَمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ
 فَاطَّرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَفُرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْخِضْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

يَوْمًا فَمَا تَبَنِي عَلَى شُرْبِي الْخَمْرِ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ أَلْبَتَّةَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَنَ بِكَ وَلَا صَنَعَنَّ .
فَقُلْتُ: نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُهَّةٍ لُهُمَا . فَسَعِيَ بِهِمَا وَيِي
إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَ بِي فَجَرَدْتُ فَضْرِبْتُ
ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي: إِنْ جَرَمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَجِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا: ضَرَبَنِي
بِالسِّيفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَعْشِيًا عَلَيَّ سَاعَةً . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعْتَ عَلَيَّ عَيْنِي الْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ:
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهَا بِالْقَبْرِ فَيُصِيرَنِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَّخَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فُصِيرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَّتْ بِالنَّزْوِ وَالْبَقِّ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءُ اسْتَرَجِحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ: أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
فَحَمَّ وَكُنْدَرُ يُذْهِبُ عَنِّي هَذَا الْبَقِّ . فَأَتَيْتَنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظَامَ
الْقَبْرِ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْقَمِّ . فَأَسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْوِ
فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى جَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيْتَانِ مُقْبِلَتَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَا لِي . ثُمَّ كَفَفْتُهُمَا فَدَخَلْتَا مِنَ الثَّقْبِ الَّذِي

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنَاً كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
 قَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَّأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
 أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِجَاجِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ
 فَلَمَّا قَرَّأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
 وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمْرَهُ
 بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبِسَاطِ مَكَانَ
 جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ
 فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
 وَجَاءَ بِهِ فَأَمْرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فَأَلَمَتْهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
 رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
 أَنْ مَعْنًا يَرْاجِعَهُ عَقْلَهُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَوَرَّبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَلَمَّتْهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
 يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
 سَافَرَ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافَرَ أَعْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
 فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرَكْتُ الشَّرْبَ فَضْرَبَنِي وَجَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

عَنْ أُسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حُشُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
 يَلْزِمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَبَسَمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْحَكَكَ الْإِخْتِفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَنَزَلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَالتَفَتَ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِنَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
 مَدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّهَبْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
 بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعَرِّفَنِي .
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

وَكَرَّمَهُ وَقَالَ لَهُ: أُلْزِمَ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ:
 يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمِعًا
 وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
 الصَّحْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ. فَتَخَلَّيْتُ أَنَّهُمَا تَرِيدَانِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَنَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَظَنَنْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرِّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُقْبِلًا
 عَلَى الرِّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَلْتَفْتُ فَرَأَيْتُ فَقَالَ لِي: مَنْ
 أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يُسْتَجِيرُ فِي
 مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبُهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَوَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ النَّجْرِ وَيَمِضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تُدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلِي مِ
 ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
 ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
 وَأُدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
 تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دَمِي. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهَا جَمِيعًا بِنَلَيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا لَللَّهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلُ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلُنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَّا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاغَيْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُخْتَجُّ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا تَحْتَاجُ مَا تَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قِيلْنَا عَذْرُكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَابِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَابِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِللَّبَشِيهِ)

فقوكريم واحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حكي أنه لما أفضت الخِلافة إلى بني العباسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّفَاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ أَمَانًا

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرٌ خَزِيمَةٌ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ أَرُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنْ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ. فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِجَسَنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبِ السُّجَّانِ وَاسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسُّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السُّجَنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجْرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَآبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَّاءٌ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أُجْرِعْ دُونَ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحِجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي صِغْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُوبًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَمَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

وَسُوءُ مَكَافَاتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
 أَمَرَ بِصُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسَهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسَهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِقُدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَرَأَعَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَآلِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامِعٍ قُرْبِ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِجَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ
 فَاحْتَيْتُ أَنْ أَسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْآ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبُ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَضَيَّتْ عَلَى أُمَّ وَجِهٍ . ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الثَّحْفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

مع جميع أعيان البلد. وسلموا عليه وساروا جميعاً إلى أن دخلوا به البلد.
 فنزل خزيمته في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ عكرمة ويحاسب. فحوسب
 ففضل عليه مال كثير فطالبه خزيمته منه. فقال له عكرمة: والله ما لي
 درهم منه سبيل ولا عندي منه دينار. فأمر خزيمته بمحبسه وأرسل
 يطالبه بالمال. فأرسل عكرمة يقول له: إني لست ممن يصون ماله
 بعرضه فأصنع ما شئت. فأمر خزيمته بقيده وضربه. فكبل بالحديد
 وضرب وضيق عليه. فأقام كذلك شهراً فأضناه ذلك وأضر به فبلغ
 أمراته ضره فجزعت عليه واغتمت لذلك غماً شديداً. فدعت جارية
 لها ذات عقل وقالت لها: أمضي الساعة إلى باب خزيمته وقولي للحاجب:
 إن عندي نصيحة للأمير. فإذا طلبها منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير
 خزيمته. فإذا دخلت عليه فسليه الخلوقة فإذا فعل فقولي له: ما كان هذا
 جزاء جابر عثرات الكرام منك بمكافأتك له بالضيق والحبس
 والحديد ثم بالضرب. قال: ففعلت جارتها ذلك. فلما سمع خزيمته
 قولها قال: وأسوء تاه جابر عثرات الكرام غريمي. قالت: نعم. فأمر
 لوقته بدابته فأسرجت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم
 إلى باب الحبس. ففتحته ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس
 متغيراً قد أضناه الضر. فلما نظر عكرمة إلى خزيمته ووجوه أهل البلد
 معه أحشمه ذلك فنكس رأسه. فأقبل خزيمته واكب على رأسه فقبله.
 فرفع عكرمة رأسه وقال: ما أعقب هذا منك. قال خزيمته: كريم فعالك

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَقَطُّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْخُلَيْفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرَيْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هِدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَفَيْتَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَتَقَبَّلَ الْأَرْضَ خُرَيْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِمُلَاقَاةِ خُرَيْمَةَ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ : أَمَا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ إِسْرٍ مُوَأْسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ :
لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ سَمِيَ الْفَيَّاضُ لِيَزِيدَةَ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِاسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ : خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاولَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبِضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جَعَلَتْ
فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلاَّ تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : زِدْنِي إِيْضًا . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أُمِّهَا وَقَالَ
لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ آتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَصُوبِي أَسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْمَسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خُشُونَةَ الدَّنَانِيرِ . وَمَا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أُمُّهَا فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كُنَّا

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
 حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقَتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
 مِنْ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَفَعُونِكَ وَنَحْسُنُ
 إِلَيْكَ وَزَعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
 فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوفَةً
 وَدَرَاهِمًا وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً تَعْلُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمًا .
 وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكَتَبَ إِلَى وَايِ الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
 بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للأبشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
 خُرَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
 نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمَّ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكِرَامِ حَتَّى أَحْتَاجَ إِلَى
 إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَايِسُهُمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ حِينَئِذٍ مِنْهُمْ مَلُودٌ .
 فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتُهُ وَكَانَتْ ابْنَةَ عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ
 رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَاهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
 إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَّقُوْتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
 نَفَدَ جَمِيعَهُ وَبَقِيَ حَاتِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ وَالْيَا
 عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

وَتَحْرِيضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبِتَرَ الذَّنْبُ . وَالدهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
 تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
 تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
 سَمِعْتِكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
 الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَعْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرْسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
 الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
 أَخْبَرْنَا . إِنْ أَحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ صَلَاةً فَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدِ التَّمَّ شَمَلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
 الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْمُبْطَلُ . أَفَمَنْ كَانَ
 مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْزَّالِ الزَّالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
 أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
 الْأُمُورِ عَاقِبَةٌ . إِنْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِبِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءَ
 أَلَيْسَ هَذَا قَوْلِكَ وَتَحْرِيضِكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
 شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتِكَ . مِثْلَكَ مِنْ يَبِشْرٍ بُخَيْرٍ وَيَسْرٍ جَلِيْسَةٍ .
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ
 وَأَتَى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ وَوَكَّمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
 أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ حُكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَأَذْكَرِي حَوَائِجَكَ تَهْضَ . فَقَالَتْ :

وَالْمَرِيضِ . وَآلِ حَدِيثِهِمْ إِلَى مَنْ كَانَ يُجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيطِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تَسْمَى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِحَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تُسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَمَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورُ لِأَقْبَلِ . وَالْمَسَالِمُ لِحَارِبِ . وَأَلْقَارُ لَكُرٍّ . وَالْمُتْرُزَلُ لِاسْتَقْرَرٍ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بِنَسَمَا أَشْرْتُمْ بِهِ وَفَجَأًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيُّخْسَنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَفَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ أَمْرَأَةً قَدِ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدَهَا وَطَاءَ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سَيْرِكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

إِلَى أَنْ أَنْضِجَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ. فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ. فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّيِّبَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيَرُدَّهُ
 وَيُلْقِمَ الصِّغَارَ. وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفُوا. وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا. فَاتَّفَقَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا: يَا خَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَكَ حَالِي. فَأَنْتِ بِنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَجِدِينِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا. ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي جِئْتُ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَنَتْ أَنْ الْجِبَالَ قَدْ زَلَزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي. حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفُوا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي. ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَنَّا لَيْلَتَنَا. وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ أُمَالِ تَسْتَوِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حُكِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِيَ الْخِلَافَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَأَمْتَلَاتِ مِنْهُ الصُّدُورُ. وَأَذَعْنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ. وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ. أَسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُحْمٌ وَقَائِعَ أَيَّامِ صِفِّينَ. وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكِرِيهَةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ. فَأَنَّهُمْ كَوُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

فَحَمَلْتُهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدِ انْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبِي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَامِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّاهِذِهِ
الْعُجُوزُ تَعْلَلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَضَجَّ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ وَهُوَ يَلْهَثُ الثَّورُ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا حَيْمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنِ كَفِّهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقِدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدِكَ حَطْبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطْبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقِدْرَ
عَلَى الْأَثَافِي . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقِدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطْبِ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ وَقَدْ كُنَّسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى أَشْتَعَلَ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَعَلَ يُحْرِكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

حَيًّا اللَّهُ عُمَرَ وَنَكَسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَامِنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَتَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَهُ بِمَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهُ ظَلَمْنَا إِنَّ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعِيَّتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مُعِينٍ وَلَا
 مُسَاعِدٍ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَارِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقْوَتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صَبِيَّتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرَ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَقَاةِ
 مَعَ كَثْرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهُ إِنَّ الرَّاعِي الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيْقُ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَهُ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةُ وَالسَّاعَةُ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةٌ الْأَخِيرُ . فَمَشِينَا وَالْكَالِبُ تَسْبُحْنَا وَأَنَا طَرُدُهَا وَأَذْبُهَاتِنِي
 وَعَنهُ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحْتُهُ وَوَحَدَهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَرَّ مِينًا وَشِمَالًا فَعَمِدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلَ عَلِيٍّ كَتَفِي فَحَمَاتُهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
 فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
 الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
 يُوقِفُكَ سِرِّ بِنَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَةِ
 فَأَكَلُوا وَاسْتَقْبَلُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَلَانَا الْمَكَانَ خَوْفًا
 أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءُ الْعِيُونَ. وَالصَّبِيَةُ لَا يَذْأَلُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
 وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ
 فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: أَدْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
 وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَتَهُ. فَردَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 أَحْسَنَ رَدِّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَةِ يَتَصَارِحُونَ وَيَبْكُونَ.
 فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِهِمْ مِمَّا فِي
 الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطْ
 إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
 فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي.
 فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنْ فِيهَا
 شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُوكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عِيُونَهُمْ
 نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
 لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةَ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

بِأَقْبِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيَهُ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
 لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِبَاتِ
 خَائِرَاتِ . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
 بِخَبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا
 وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَّمْتِ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَتَكَلَّمُ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (بِالْبِشِيهِي)

عدل عمر بن الخطاب بما آذاهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 خَرَجْتُ لَيْلَةَ حَالِكَةَ قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا
 جَذَبَنِي بِنِي بَشُوبِي وَقَالَ : أَلْزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَمَدَّدْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةَ بَيْنِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
 الدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةَ قَرٍّ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
 خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَبُيُوتِهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
 نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
 يُعُولُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَنَا فِي عُلْيَاهَا قِدْرٌ وَمَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

الزُّبَيْرُ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بَنِيَّ مِنْ عَفَاسَادٍ . وَمِنْ حِلْمٍ عَظِيمٍ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْمَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فِدَاؤِهِ يُمِثِّلُ
هَذَا الدَّوَاءَ

المَنْصُورُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ

٣٠٦ قِيلَ : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِعَظَمِ قَدْرِهِ
يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَحَجَّه مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقَلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَصَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ اعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخُضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ النَّبَسَاتِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَدَّتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْجَعْمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَمَّجَتْهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةٌ . قَالَ : وَمَاهِي . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَنْتَهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقَطَعْتُكُمَا . فَقَالَ : اللَّهُ دَرُكُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبيري ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا.
وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا. فَدَخَلَ عَمِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَمِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَانْهَمُّ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ يَقُولُ فِيهِ : أَمَا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيِّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَالدُّنْيَا
بِأَسْرَهَا هَيْئَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضِفْهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

وَلَشَغَلُ الْهَائِمِ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبِ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبِ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجَلَّاسِ

٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرِ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَيِّبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَتَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ :

وَزَارَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبِ وَتَنْزِلُ بِالْفَتَى مِنْ غَيْرِ حِبَةٍ
وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
تَبَيْتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَطَلَبُ بَعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرْبِهِ
وَتَمْنَعُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْفِصَهُ بِمَا كَلِهَ وَشَرِبَهُ
أَنْتَ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :

الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالْدَمْعُ كَالدَّرِّ فِي الْحَدِيدِ يَسْتَبِقُ
إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقٌ

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبْهِنِي بَعْدَ الْهُدُوِّ بِهَا قَرَعُ التَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوْسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِفَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلٍ :

حَازَ السَّفَرُ جَلٌ لَذَاتِ الْوَرَى فَعَدَا عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالْتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالرَّاحِ طَعْمَا وَشَمَّ الْمِسْكَ رَاحِحَةً وَالتَّبْرِ لَوْنَا وَشَكَلَ الْبَدْرَ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بَغِيرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لِأَكْثَلٍ وَمَصِّ لُبٍّ وَرَشْفِ
كَمَلْتُ فِي أَسْتَوَائِهَا وَأَسْتَقَامَتِ بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفِ

٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمَا وَغَرِبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِيُوحِ أَعَادِيهَا وَكَأْسِ أَدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزَهَّةُ أَعْيُنٍ وَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا

مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّيِّعُ بِإِلَادِهَا فَحَمِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَا عَابَبَ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَيْبِهَا شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَيَأْشِرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقِ وَأَفْحْوَانِ وَوَرْدِ وَخِزَامِ وَزَجِسِ وَبِهَارِ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَاتَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتِكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسَّمَاءِ بُكَاءٍ فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّبِيعِ أُبْتِسَامُ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخِرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَسْجَلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمَدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطْرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزْمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيِّتٌ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفَدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعِ وَفَدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَيْرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخِرُ فِي الْيَاسْمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيُقَطِّبُ
وَكَأَنَّ مَخْضَرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسْمِينِ لَهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرَ قِهَا وَأَزَيْتَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُجَّانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَمِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطِّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرِيهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ لِسْنَ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْمُنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمْرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مَجْرَدِ
سِوَى الْفُسْتُقِ الرَّطْبِ الْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهًا يَمَعَانِ زَيْتُ بَجْرَدِ
غَلَالَةٌ مَرَجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتِ وَقَبُ زَبْرَجِدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجَلْنَارَ :

بَدَأْنَا الْجَلْنَارُ فِي الْقُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْوَسُ الْعَفِيقِ بِهِ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَ أَعْلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ النَّدَى سُخَيْرًا وَأَوْدَاجَ الْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ تَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنظَرًا مِنَ النَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

وَسِئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكَتَبَ: مَعْقُولٌ مَجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مَدْرَكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسِئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ: نَوْمٌ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةٌ الْمَرْضَى. نَقِيضُ الْبُئِيَةِ. انْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ. شَهْوَةٌ الْفُقَرَاءِ. فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فِقْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسِئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ: شَرٌّ يُتَمَنَّى. مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسِئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكَتَبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسِئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكَتَبَ: تَصْوِيرِي طَبِيعِي. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسِئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكَتَبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ. وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِي. وَسِئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ:
 مَلْعَبَةٌ أُنْجَتِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسِئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ. (عَلَى زَعْمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمَّ الثَّمَرَاتِ. وَسِئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسِئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بَيْتٌ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كَتَبَ

٢٨٢ لَقِيَ الْحَجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أُرَكِّزُهَا لِصَلَاتِي. وَأَعِدُّهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيَّتِي يَتَسَعُ خَطْوِي. وَأَثْبُ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُوْمُنِي الْعَثْرَ. وَالْقِيَّ عَلَيْهَا كِسَاتِي. فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجْنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُدِينِي إِلَيَّ مَا بَعْدَعَنِي. وَهِيَ مَحْمَلُ سَفَرَتِي. وَعَاقِلَةٌ أَدْوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ. وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتُتَوَّبُ عَنِ الرِّيحِ الطَّعَّانِ. وَعَنِ السَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتُهَا عَنْ أَبِي وَسَاوَرْتُهَا ابْنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَبِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى. فَبِهِتَ الْحَجَّاجُ وَأَنْصَرَفَ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَحْفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاوُهُ شَائِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْ نُهِ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بِلَاقِعٌ. رَدِيٌّ الْمُنْظَرِ. سَبِيٌّ الْخَبْرِ. يَخْلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ.

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ
فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ
بِالْفِظِ. وَيُعَايِنُ فِي النَّظْرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَرَى التُّنُوحَ قَرَضًا
يَجِبُ آدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزِمُ قَضَاؤَهُ. إِنْ اسْتَفْرَعَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوِهِ. أَثْبَتَ مِنْ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَمْتَلَ.
وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَمْتَلَ (للشعالي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَائِلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للسريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ أَعْرَابِيٍّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونَ الرَّشِيدُ أُحْتِيلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْأُمْتَرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:
جَاءَ الْأُمْتَرُ وَالْأَفْرَاسُ يُقَدِّمُهَا هُونًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرَّ يَحْتَفِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْزَلَ صِلَتُهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاعاني)

يَعِينِ لَمْ تَذُقِ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعِ ذِي انْسِكَابٍ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ الْغَزَّ الصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ فِي عِيدِهِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا اسْمٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِيَدِي جِسْمٌ يَرَى فِيهِ عَيْنٌ وَيَدٌ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

اسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِالرَّجْلِ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يَرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّحَابِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِصْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِعَجْرُومِينَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسِيًا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا اسْمٌ ثُلَاثِيٌّ لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَعَاً وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

٢٦٨ نُغْزِي فِي طَاحُوتَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَاعَةً
تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتَّبَعُ
وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ الْمَدَى وَهِيَ لَا تَشْرَبُ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمَنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبَ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمَلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا اسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكَلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوًّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْبُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرِّيحِ وَهِيَ تَهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بَحِثْ يَدْرِكُهُ

٢٧٢ الْغَزَا آخَرُ فِي يَدِ الْهَاوِنِ :

خَبَرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمُهُ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ يَرُفُّ فَمُهُ وَيَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْأَبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْحَجِيِّ وَفِي الذَّهَابِ

وَيُؤْكَلُ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً
 وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ
 وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ
 وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ

٢٦٤ أَلْغَزَّ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ الْحَشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ :

وَذِي أَوْجِهِ لَكِنَّهُ غَيْرُ بَاحٍ
 تُتَاجِجُكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ
 لَيْسَ وَدُوهُ الْوَجْهَيْنِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
 فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِأَسَامَةَ بْنِ الْمُنْقِذِ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغَزًا :

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتَهُ
 لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ
 لَيْشَقِي لِنَفْعِي وَيَسْمَعِي سَعِي عَجَبِي
 لِنَاطِرِي أَفْتَرَقْنَا فَرَقَةً الْأَبَدِ

٢٦٦ أَلْغَزَّ ابْنُ زَكَرِيَاءَ بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَعَشِ الْمُوتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا
 إِذَا سَارَ صَاحِ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
 وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
 يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ قُرْبَهُ
 وَيَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
 وَلَمْ يُسْتَرزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ
 وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهَا أَلْدِينَ زُهَيْرٌ وَزَيْرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَزًا فِي قَفْلِ :

وَأَسْوَدَ عَارَ الْأَحْلِ الْبَرْدُ جِسْمُهُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا
 وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنْعُ
 وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَانَ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ سِرِّهِ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ
٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْفَرًا فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضَعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنبِهِمْ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالثَّدْيُ رَأْسُهَا
٢٦٢ وَالغَزَاءُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ التَّمِيمِ الطَّيِّبِ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ
يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلا رِيَاءِ
أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأْيٍ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ
يُعْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيْمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ
بِالرَّفْعِ وَالْحَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلْأَقْلُ لِلْأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
وَكُلُّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرْبٍ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
يُصَادُ بِالصَّيْدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَفِ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمَلِكَ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي

يُسْتَتُّ شَمْلَ الْخَطْبِ وَهُوَ جَمِيعُ
وَتَعْنُو لَهُ مُلَاكُمَهَا وَتَطِيعُ
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدِ
مُؤَاظِبِ الْخُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا

وَدَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمِشِي لِأَوْ لَا هُوَ مُقْعَدُ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لِأَوْ لَا هُوَ مَيِّتُ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابَهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ لِيَصْمِتَ يُجْنِبُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تُحْقِرُ شَأْنَهُ

وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لِأَمْسِ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَزِي فِي الْمَجَالِسِ
يَدِبُ دَيْبًا فِي الدُّجَى وَالْحِنَادِيسِ
وَتُقْرَى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِيسِ
وَهِيَهَاتِ يَبْدُو النَّسْرُ عِنْدَ الْكَرَادِيسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرٍ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كَلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ

يُتْرَجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَأَنْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
 كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا الْحَارِثُ بْنُ كُلْدَةَ . قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ .
 قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهَا . قَالَ : فَمَا صِنَاعَتُكَ . قَالَ : طَيْبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ
 الْعَرَبُ بِالطَّيِّبِ مَعَ جَهْلِهَا وَضَعْفِ عُقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا .
 فَقَالَ : ذَلِكَ أَجْدَرُ أَيْهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا
 يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عِوَجَهَا . وَيَسُوسُ أَعْدَائَهَا . وَيَعْدِلُ أَسْنَادَهَا . قَالَ
 الْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بَأَنَّ تَعْرِفَ مَا تَعْتَدُهُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفْتَ الْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ
 إِلَى الْجَهْلِ . قَالَ الْحَارِثُ : أَيْهَا الْمَلِكُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَسَمَ الْعُقُولَ بَيْنَ
 الْعِبَادِ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ الْقَوْمَ نَصِيْبَهُمْ . فَفِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ
 جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : فَمَا الَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ .
 وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ الْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ . وَقُلُوبٌ
 جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مُرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيَمُرُّ الْكَلَامُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الْوَتْرِ . أَلَيْنَ مِنَ الْمَاءِ . وَأَعَذَبَ مِنَ الْهَوَاءِ .
 يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ . وَيَضْرِبُونَ الْهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يُرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا
 يُضَامُ . وَلَا يَرُوعُ إِذَا نَامَ . لَا يُقْرُونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ . مَا
 خَلَا الْمَلِكُ الْهَمَامَ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنَامِ . قَالَ كِسْرَى :
 لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخُصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْحُمُقِ
 فِطْنَةً وَفَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لابن عبد ربه)

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَعْجُو رُجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخِرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتِهِ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَعْجُو الْمَبْرَدُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ النَّحْوِيِّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَلَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَلَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَمَالَةٌ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَأْقَبُ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عَمِيرَةَ رَهَطَ اللُّؤْمُ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَجَلُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ سُمَلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِيَّةٍ صَاحِبَةَ ذِي الرَّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرْتَ مِيَّ فَلَاحَبَّذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مِيَّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْخَزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا آتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ افْتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الدَّهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ بِالشَّعْرِ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
فَلِدَّجَا جَعَةٍ رِيَشُ أَكِنِّهَا لَا تَطِيرُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تَحْمَةً أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهَا أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَيْبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيْتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوْحِي عَلَيْكَ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَبْقَى النَّاسُ مِنْ سُؤْمِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةُ اللَّئَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامِ

٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَطَّاقِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ التَّقَلُّبِ.
فَكَانَ يُؤَلِّي الْعَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرَّقَاعَةِ يَوْمِي ثُمَّ يَعْزَلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَنَحِيرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهُ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَعْجُوبُ بِخِيَلَا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا وَقَنَّ بِأَنَّنَا نَقُولُ خَبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخِرُ طَيْبِيَا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مَرْكَبُ

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَاتَّمِسِي لَهُ
 وَأَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَاوِيَا
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ نَابِتٍ :

أَصُونُ عَرِضِي بِمَالِي لَا أُدْتَسُّهُ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلْفِ الْعَجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا
 وَأَقْتَحِمُ الْأَمْرَ الْمَخُوفَ أَقْتَحِمُهُ
 لِمَا نَابَهُمْ قَدَمَا وَأَعَشَى الدَّوَاهِيَا
 لِأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ نَاوِيَا
 (الاعاني والحماسة)

الهمجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

سَيَّانٍ كَسَّرَ رَغِيفَهُ
 فَارْفُقَ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ
 وَأَوَّاهٍ كَسَّرَ عَظْمَهُ
 لِي بِهِ يَرُوعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خَنْتُ عَهْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ
 وَجَفَّانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهُ

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَاسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْحَمَاءَ وَبَلَّغْنِي الْحَا جَةَ مِنْهَا فَإِنِّي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِجَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الكُمَّةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِمِحْظَةِ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنَسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشَهَّرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيبِهِمْ بَطْنُ دَقْفَرٍ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ :

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْحِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنُبْلَاهَا إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ
عِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْتَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنِ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلُّهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْدِ مُوْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ التَّجْدُ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ وَالنَّهْجِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بِأَنَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَذْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبَيْنَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطَعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَلْتُ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبَ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمُعَالِي أَرَبٌ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا لَا تَرَانِي لِدُعَاةٍ مِنْ حُجُبِ

٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً . فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةٌ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَانِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ قَسَوَايَ إِذَا بَيْنَ يُغَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَاِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذُوو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
 وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمُرَيْنِ بَعْدَكَ عُودٌ
 وَمَا لِسِرِيرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحِوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
 فَقَالَ: يَا غَلَامُ! أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا
 نُخِيبُ الْأَخْطَلَ. فَبَلَغَتْ الْحَجَّاجُ فَقَالَ: لِلَّهِ دَرُّ يَزِيدُ لَوْ كَانَ تَارِكًا
 لِلسُّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للبيهقي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شَعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوِّيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
 فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
 لَمَثَلَتْهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ قَتَعْتُمْ أَنِي أَمْرُو شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأَمْرَا فخرًا فَمَا مَلِكُ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
 وَكَأَدِيحِيكَ صَوَّبَ الْغَيْثُ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَاقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
 وَالذَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَجْرُ لَوْ عَذَبَا
 ٢٣٣ وَاللُّجَيْتِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَأَنْظُرِي إِلَى الْمُجْدِي الَّذِي شَادَا
 إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
 ٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنَ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
 فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِعِجْدٍ أَوْ لِحُودٍ

أَثَابَ الرِّضَا (وَهِيَ حَبَابُ أَطْوَقِهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرِدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا فَتَمَدَّحَ الْمُلُوكَ (أَلِفُ بَاءِ لَابِنِ الْحَجَّاجِ الْبَلُوي)

٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ الْمَلِكِيَّ عَلَى الْمُهَدِيِّ وَأَمْتَدَّحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْضِيْلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَاعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أُبْتَغِي الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ الْغَنَى أُفِدْتُ وَأَعْدَائِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

فَعَجِبَ بِهِمَا الْمُهَدِيُّ وَعَنَى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَرْزُكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَنْبِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
 اسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقِ عَلَيْهِ كَانَ بِبُحْرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسْتَادِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَّاهُ لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالنِّعَمِ مَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَايِنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ النِّعَمِ وَقْتَ رَبِيعِ كَنَوَالِ الأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالِ الأَمِيرِ بَدْرَةَ مَالٍ وَنَوَالِ النِّعَمِ قَطْرَةَ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ المُهَلَّبِيُّ فِي المُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرَةٌ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نُرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يَدْتَجِي مِنْ وَاقِعِ النُّعَيْثِ بَاكِرُهُ

بِمُنْتَصِرِ بِاللهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللهِ فَاللهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ المُنْدَرِ فَحِيَاهُ تَحِيَّةَ المُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيْفَا خِرْكَ ذُو فَايَسَ وَأَنْتَ سَائِسُ العَرَبِ . وَغُرَّةُ الحَسْبِ . وَاللَّاتِ

لَا مَسْكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَاكَ أَحْسَنُ مِنْ

وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَطَنُكَ أَصْدَقُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَوَعْدُكَ

أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ

جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقِرْتِكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي البَاسِ وَالجُودِ بَيْنَ الحِلْمِ وَالحَفْرِ

مُسَوَّحٌ بِالمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ القَمَرِ

إِذَا دَجَا الحُطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانَ الحُلِّ بِالمَطَرِ

فَقَهَّلَ وَجْهَ النُّعْمَانَ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَمْلَأُوهُ دُرًّا وَيَكْسِي

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةَ أَبَدًا وَإِنْ أَلَّتْ أُمُورٌ فَهَوَّ كَافِيهَا
 ٢١٨ قَالَ ابْنُ الرَّؤُمِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْحَلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْحَلْقُ
 كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَابَ مَعًا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
 ٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابِقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
 وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَبَّ الْقِرَى حَطْبًا عَلَى النَّيرَانِ
 ٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينُ :

تَعَشَّ عُثْمَرُ نُوحٍ فِي سُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
 تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْشِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ
 ٢٢١ وَمِنْ جَمِيلٍ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعِ رُبَّ الْعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبَّمَا أَمْ لَمْ تَرْتَجِحْ
 قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي
 ٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَنْغُزُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
 وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسَهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ
 ٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحَمْلَ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
 ٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ
وَإِذَا صَنَعَتْ صَنِيعَةً أُمَّتَهَا
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ
٢١٥ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي
وَعَلِمْتُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعُ
خَلِيلٍ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَاتَهَا
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا
٢١٦ قَالَ آخِرُ مِدْحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادَا
بِمَا أَحْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا حَادَا
آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا
٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادِ :

أَخِيلٌ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ هَزِمْتَ
لَمْ يُبَدِّ فُحْشًا وَلَمْ يُهَدِّدْ لِمُعْظَمَةِ
الْمُسْتَشَارِ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزِبُهُمْ
إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا
 ٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنَ إِرْهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ:
 عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الثَّرَى أَشْرَ النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الْمَرْعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِيءِ أَعْرَافِهِ وَقَدِيمُهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشَّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ.
 وَمَالُهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفِئْهُ عَلَيْهِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمُكَافَأَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغَانِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يُمدِّحُ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ:

تَكَامَتَ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصَتْ بِهَا فَكَلْنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِطٌ
 أَلْسِنٌ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ
 ٢١٣ قَالَ إِرْهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلِ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ.
 فَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ . وَبَسَطْتُهَا لِلْغِنَى . وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجْلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرَّوْمِيِّ فَقَالَ لِإِرْهِيمَ بْنِ الْمَدِينِيِّ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضِرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَأَمَدُّ إِلَى يَدَا تَعُودَ بَطْنَهَا بِذَلِ النَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ:

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعَدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَأَجَاءَنِي .
 وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقَالَ :

إِذَا أَعْتَصَمَ الْمُدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُدْ بِفَنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلْ سُؤَالَ
 فَنَاءٍ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصَّرْتَ الْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ الْمَعْنَى . وَأَمْرِي بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَاِزِ فَقَصَدَهُ عَجْرَدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُؤُ زَيْنَهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ الْأَقْدَمِ وَالْأَحَدِ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
 وَرَبُّهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَاءِ الْوَارِثِ الْمُورِثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُنَ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةٌ إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَتَلَكَّا عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقْتِي بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَغَرَّهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوَ الْحَامِدِ مَا جِدُّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بِنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودُهُمْ فِي غَيْلِ خَفَانِ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنَ مَنْزِلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْقَاءِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِطِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّيِّعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانٌ
 وَرَغِيفَانٌ سَمِيدٌ وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ
 النَّمْرِيِّ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَسَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يُرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمَةٌ يَوْمَ الْوَعْيِ وَالْمَنَائِيَا صَالِبَهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطِيبُ

أَلْبَابُ الْعَاشِرِ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَاجِرِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَا وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدِثِ الْخَشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ إِزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا أَحْكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :

أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ
٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَأْسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخَصَ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ وَإِيَادُ وَأَمَّارُ أَوْلَادُ زَرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرَ كَلَامًا قَدْرَعِي فَقَالَ : الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةُ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادُ : وَهُوَ أَبْتَرٌ . وَقَالَ أَمَّارُ :
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌ : أَهْوَأَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةُ : أَهْوَأَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادُ : أَهْوَأَبْتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَمَّارُ : أَهْوَأَشَرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُونِي عَلَيْهِ . فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَّبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ . فَتَنَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهُمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌ : رَأَيْتُهُ يَدْعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى قَائِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطْنِهِ لِأَزُورِيَّتِهِ . وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ بَثْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا لَتَفَرَّقَ . وَقَالَ أَمَّارُ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكُونِ أَنَّهُ كَانَ
يَدْعَى فِي الْمَكَانِ الْمُتَلَفِّفِ نَبْتَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ وَأَضَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِسْكَرَائِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

بِأبي مَنْ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً أَلَمْتَ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسِبْتَ أَنَّ فِيهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رِيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنشَدَ ابْنُ صَرْدَرُ بْنُ جَهْرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفُ سَلْتَهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُعْنِيهِ عَنْ ضَرَابِهِ

٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ الْتُغُوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَفُوتُ حَاجُ
إِذَا أَرْدَمْتَ هُمُومَ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيْمِي هِرَّتِي وَأَنْيَسُ نَفْسِي دَقَاتِرِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُ لَابِي هُدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِبَعْضِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا حَزْتُ مِنْ نَعْمَانِهِ
كَالْبَجْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَوَلَدَهُ فِي

تِلْكَ الْحَالَةَ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ

عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنَهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ

لَكِنَّ جَهْلَ مَقَالَتِي فَعَذْرَتِي وَعَلِمَتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

يَا صَاحِبَ أَلَيْتِ الَّذِي ضَيْفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعًا
 أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
 مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفِ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
 كَالْبَدْرِ لَا زُجُوجًا إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدِيسٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةَ وَهِيَ مَكَانٌ مَنَاشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّرَهَا
 فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
 وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَّهُارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
 كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُؤُهُ بِالنَّشَائِدِ وَيَتَأَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَازِمَ . فَيُنَمَّا كَانُوا
 لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالشُّعْرَاءِ حَدِثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أَرْتَجَّتْ
 مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِيُّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
 مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضِحٌّ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الشُّجْبَا
 مَا زَلَزَلَتْ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبَا
 الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ الْبَصَرَ
 أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبْرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفْتِهِ :

بِضَمِّهِ إِلَى وُلْدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

فَدَيْتِكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
بِأَنْفُسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبْلُجُ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَدِ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً
فَقَبْلَكَ قَدَمَا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهُ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعَدُهُ
فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقِتَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا
تَنَمُّو قَتَبْتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَقْرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَصَارَ

يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ
وَتَأَمَّلْتُهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا
صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَانْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُدْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بِحَرَا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا تَحْلَجَّتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُودَتْ
وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُؤَيِّجِي لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ
أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لأبن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك. فأخضر
بين يديه كيساً فيه خمس مائة دينار. وقال لهم: ليقل كل منكم
بيتاً في مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس. فبدر الفرزدق فقال:
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَّبِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَّبِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَلَعْمَرِي إِنْ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَّعَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلٌ رَأَيْكَ. فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هُذِي عَلَى هُدِهِ تَعَارُ
 وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ
 فَرَمَى بِالذَّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِمَّارُ (للازددي)
 ١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هُذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
 أَنْظِرْ إِلَيَّ بَعِينَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُوَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَّافِي
 أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاغُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنِمْ دُعَائِي وَالثَّنَاءَ الْوَافِي
 فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَآتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (للهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
 حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَنَّهَا
 بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بِنُ عُنَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :
 جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
 مَنْ أَنبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
 (تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ مُصْعَبُ الْوَالِي يَوْمًا بَبْغَدَادَ فِي جَرَّاقَتِهِ فَأَعْتَرَضَهُ مُقَدِّسٌ
 ابْنُ صَيْفِي الْخَلْقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَدْنَيْتَ مِنَ الشَّطْرِ لِيُخْرَجَ . فَقَالَ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي آيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَأَعْرِفْتَ كَيْفَ لَا تَعْرِقُ
 وَبِحِرَانٍ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخِرٌ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقٌ

١٨٢ مَثَلُ دِعْبِلٍ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا آتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزِلِ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلْ
 وَلَا نَتَّ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرِهِمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ
 قَالَ لَهُ . قَاتَلَكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربه)
 ١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْثًا :

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَمَقْرَبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البحرى عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عَبَادَةَ الْبَحْرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْقَى بِيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَادَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ
 فِي يَدِهِ الْيَمْنَى . فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى . فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ :

يَسْرٌ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
 خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

قَالَ: فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: أَمْتَعَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سروراً وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيُّ قَالَ: عَبَّ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:

لَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَاوِدًا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظَمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضْحَكَ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ. وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتَهُ بَعْدَ أَنْقِضَائِهِ عَلَيَّ ذِكْرِي (الآخِغَانِي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ:

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيمَهُمْ إِذَا دَعَعْتَهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا أَلْقَتُ يُجْحِنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّابُ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَشِيحُ الْمُنِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنْ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْغُبَارَ مَثِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَفَتِيلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَطِيقُ الْجَبَانُ مِنَ الدُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّبَاحُ وَاللَّكْمِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدٌ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ تَحْرِيدُ

فَأَجَارَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَأَلْرَبُّ غَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يُتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عِجْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُودِعًا :

لَا وُدَّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدَّمُوعَ هِيَ الْوُدَّاعُ الْثَانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةٌ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمُعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُوزَّرًا بِعَجْدِهِ مُرْدِيٌّ ثُمَّ يَفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْمًا مُرْضِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَانًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ :
 أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِقْدَارِ هَادِيهَا
 لَوْ أَنَّ يَهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تَهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ
 (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَعْرِيدِ الْبَلْبَلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرُدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دَمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْئَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَانًا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمَغْرُدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَّصِدِي إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ
 فَإِنْ لَمْ تُظْفَهِهَا عُقْلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جِثٌّ وَهَامٌ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا كَلَامٌ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 أَلْمُوتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرِضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
 فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا الْمُدَّ الشَّعِيرَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنشَدَ بِدِيهَا :

يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجَزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصْتَهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُوحَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجِازَةِ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لما حاضَرَ الْمَنْصُورُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :

بَارزُني . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْرَهْنَ أُمْتِنَاعَكَ
وَلَا أُعِيرَنَّكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مِثْلُنَا مَا قِيلَ : إِنْ خِزِرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتَ بِكُفُؤِي . فَأَنِي إِنْ
قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فخرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحَقَنِي وَصَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ لِأَخِيرَنَّ
السَّبَاعَ بِنُكُولِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ التَّلَطُّحِ بِدِمِكَ . فَحَجَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوْاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ قَدْ غَبِثُ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْغِبُ لَنَا جَارُ
غَبِثُ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِعَدِ كُمْ وَأَظْلَمْتَ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقِنَا يَغْرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
رَى تَعُودُ لِيَالِنَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

نَشْرُ وَالسُّكُوتَ طِيًّا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرَ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ . فَسَنَةٌ أَكَّاتِ
 اللَّحْمِ . وَسَنَةٌ أَذَابَتْ السَّخْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعِظَمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَفَرُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تُحْسِبُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُدْرًا . وَأَمْرًا بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمْرًا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَائِزَةِ الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للسريشي)

الشاعر التتوي

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ أُسْتُكْرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدِّ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدَّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَابِينِ سِرًّا : لَا تَمْكُنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِيَّزِ حَارًّا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

طاهر بن عبد الله ثم أخرجه . فصلبه إلى الليل مجردا . فقال :

لَمْ يَصْلُبُوا بِالسَّادِيَاخِ عَشِيَّةً أَوْ
إِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا

نَصَبُوا بِمَجْمَدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ
شَرْقًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَجْمِيلًا

مَا أزدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً
وَأزدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نِكُولًا

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارَقَ غِيْلَهُ
فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولًا

مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ زَعَتَ لِبَاسَهُ
كَالسَيْفِ أَفْضَلَ مَا يَرَى مَسْلُورًا

وَقَالَ فِي الْحَبْسِ :

قَالُوا حُبْسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ
حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُغَمِّدُ

أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ
كَبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ

فَالْتَمَسْتُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ
عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا تَحْبُوءَةٌ
لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُتْرَهَا الْأَزْنَدُ

وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لِدَيْتُهُ
شَنْعَاءُ نَعَمِ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرِّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَحَطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤْسُ

الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُسَمَّى دِرْوَاسَ

ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَةٌ فَاسْتَصَفَرَهُ هِشَامٌ

وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .

فَقَالَ دِرْوَاسٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا أُتَمِّصَكَ

وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي . وَإِنَّ هُوَ لَا يَدْمُوا لِأَمْرِ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعْضَهَا :

لَكَ مَنْزِلٌ كَمَتَ سَتَارَتُهُ لَنَا لَلَّهُو لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
عَنِّي الدُّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبُعُوضُ وَيَدْقُصُ الْبُرْغُوثُ
قَالَ آخِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبِرَاغِيثِ وَالْبُعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِأَلَا عُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بغيرِ رَقْصِ وَذَا يُعْنِي بِأَلَا عَرُوضِ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حِينَ قَبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غَلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْحَتِكَ . أَفْتَأْذُنِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعْنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَذْنَانَا .
بِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَنَسَّأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثْرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَّاسَانَ . وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلِّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى الْبَدِيَّةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهَا إِذَا الْحَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتِ
فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَخْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصُّبْحَ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
حَالِهِمْ . فَأَذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ فَوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
حَاثِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلْسَانِهِ : عَامُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتِبَ مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ
لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَحَانَتْ الْغُلَامَ رِجْلُهُ
فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ .
وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبِحَارِ الْفُصُوصُ
(كِتَابُ الْمَعْجَبِ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِسِيِّ)

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْأُورَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَ

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد
العشاء سكران ضرب عنقه. فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتيان
يتمايلون وعليهم أمارات السكر. فأحاطت بهم العلمان. وقال لهم
صاحب الحرس: من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم
في مثل هذا الوقت. فقال أحدهم:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقْرَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ:
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ تَرَلْتَ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمَنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا. وَقَعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ:

أَلْبَابُ التَّاسِعِ
فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حَتَّى الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِدِيُّ النَّابِ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ السَّعِيدِ أَبِي ظَفَرٍ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِلشَّغْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقَطُرُ دُهْنًا
عَلَى خِنْصِرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعُ حَلْقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلْقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيهَا :
قَصَرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّارُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنُّ النَّجْرُ لَهُ رَاحَةٌ يَضِيقُ عَنْ خِنْصِرِهِ الْحَاتِمُ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلْقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ عِزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيهَا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْعِزَالِ وَأَمْرٍ نَخَطَى لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجَبَ بِهِ إِذَا بَدَا جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَانَ وَأَنْتَ أَسَدٌ

فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأُسْتَحْسَانِ (بدائع البداهة للازدي)

١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ لَا

وَأَنَّا لَتَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ نُزُولِهِ وَنُشِعُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْسُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمُ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَنَ . وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يَنْغَصَّ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْبَسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ تَكْدَأً .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَدْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرْفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يُحْضِرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَتَدْقِيلُ : ثَلَاثَةٌ تُضَيِّئُ سِرَاجَ لَا يُضِيئُ
 وَرَسُولُ بَطْنِي . وَمَا بَدَأَ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشِيعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (اللابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرِي حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا القُوَّةُ . وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الغِنَى .
 يَسْتَقِيلُ كَثِيرَ المَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْتَرُ قَلِيلَ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ عُمُرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَابِ الحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْمَنْزِلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا آدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغِنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدَيْوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتَهُ لَدَيْكَ أُمْسَالِكُ
فَكُنْ بِأَيْمَانِي وَجْهِي مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارِكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةٌ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خَلَّتْنِي ضَيْقًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَّصَ بَدِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَمَا تَقَرَّرَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُفْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقَشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْآدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسَّرْرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَخَّ الْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الآداب الظاهرة

١٥٦ (الآدابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ
بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمْ شَفْتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسُكِّينَ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ
الْبُطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيهَا

سُتتَ . قَالَ بَرَزَجْمَهْرُ : مَنْ كَثُرَ آدِبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
 وَضِعًا وَبَعْدَ صِيئَةٍ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
 الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانِ أَدَبِ الْغَرِيزَةِ
 وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرَّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَفَرَّعُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
 أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للسريسي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنُ :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَتَّعِظُ
 وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدِبِهِ
 هَذَا كَمَا لَأُلْقَى فَإِنْ فُقِدَا فَقَدَهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ
 وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّبْتِ تَادَبَ بِآدِبِهِ
 وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صِلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّيهِمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
 يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صِلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
 قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أُمِّهِ
 وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخْرُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخْرَ بِنَفْسِهِ
 ١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَأَسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ .
 وَبِالْحِلْمِ يُقَطِّعُ كُلُّ شَرٍّ (للسبراي)

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُعْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَالْبَسُوهُ حَلَةً . وَتَرْتِيوَا بِهِ حَيَاةً . يُؤَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشُدِ الْأَضْمَعِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَاسْتَأْرِي ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَمَا الْمَاءُ مُخْتَلِطًا بِالتُّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَرْزَجَهْرُ : مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاةَ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لِأَنَّهُمْ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَبِالْجَهْلِ يُتْلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ
قَرِينِ وَالْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ وَالتَّقْوَى خَيْرٌ زَادٍ . وَقَالَ أَيضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَإِنْ قَلُّوا . وَحَمَلُ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بَنِي الْأَدَبِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَامَهُ
تَجْدَهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَِّّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بَنِي عِزِّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ انْقِطَاعِهِ
وَانْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَذُولُ بِزَوَالِ الْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : حَيَاةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحَرَمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

١٥١ (فصل لأبي بكر الخوارزمي جامع لمذبح الشعراء) ما ظنك
 بقوم الأقتصار محمود إلا منهم. والكذب مذموم ومردود إلا فيهم.
 إذا ذموا ثلموا. وإذا مدحوا سلبوا. وإذا رضوا رفعوا الوضيع.
 وإذا غضبوا. وضعوا الرفيع. وإذا أقروا على أنفسهم بالكبائر. لم
 يلزم حد. ولم تمتد إليهم بالعقوبة يد. غيبيهم لا يصادر. وفقيرهم لا
 يستحق. وشيخهم يوقر. وشابهم لا يستصغر. سهامهم تنفذ في
 الأعراس. وشهادتهم مقبولة. وإن لم ينطق بها سجيل. ولم يشهد بها
 عدل. بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال. وساميرة
 النقص والكمال. بل ما ظنك بقوم استهم ناطق بالفضل. وأسم
 صناعتهم مشتق من العقل. بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام.
 يقصرون طويله. ويطولون قصيره. يقصرون محدوده. ويخففون
 ثقيله. ولم لا أقول: ما ظنك بقوم يتبعهم العاؤون. وفي كل واد
 يهيمون

(لأبي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قال العلامة بن أيوب كان يقال: مثل الأديب ذي القريحة
 مثل دائرة تدار من خارجها. فهي في كل دائرة تدار تسع وتزداد
 عظاما. ومثل الأديب غير ذي القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهي
 عن قليل تبلغ إلى باطنها. أوصى بعض الحكماء بنبيه فقال لهم:
 الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة. يرفع الأحساب الوضيعة.

آخِرُ: الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشَّحْرُ الْحَالِلُ. وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ. إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا. وَكَانَ يُقَالُ: النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرْرِ. وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّقْشِ فِي الْحَجْرِ. وَقِيلَ لِحِمْرَةَ بِنِ بَيْصٍ:
 مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ. قَالَ. مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ. وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ. وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ. وَإِذَا هَجَا وَضَع. وَقَالَ دَعْبِلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
 الشُّعْرَاءِ: إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْتَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: كَذَّابٌ. إِلَّا
 الشَّاعِرُ فَإِنْ يَكْذِبُ لِيَسْتَحْسِنَ كَذِبُهُ. وَيُجْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عِيَابًا عَلَيْهِ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ: أَحْسَنْتَ. (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السُّوقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يَعْلِمَهُ الشَّعْرَ. لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ. وَتَضَرَّبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعْرَفُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتُذَمُّ وَتُحْمَدُ وَتُهْجَى وَتُمدَّحُ. وَأَيُّ شَرَفٍ أَبَقِيَ مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ. (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا أَلَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ. وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ.
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ. وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ. وَقَالَ: أَحْسَنُ مَا
 مُدِّحٌ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَوْ لَا خِلَالَ سَنَاهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بِنَاءِ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ:

أَرَى الشَّعْرَ يُجَنِّي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا الْمَجْدُ لَوْ لَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَجْرَاتُ

مَهْدِي الْعُدْرِي نَظْمٌ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرَّةُ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: أَلْبَلِغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحَلًّا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِيْجَازِ الْخِجَلِ. وَالتَّطْوِيلِ الْمَمْلِ.
 وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَهَذَا قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْفَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ اللَّبَنُ
 إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلْغَاءُ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمَلُونَهُمَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيُزَعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاطِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلهَيْتُهُ حَتَّى يَتَكَاثَرَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظَمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابِشِيهِي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدْبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أُمْرَاءُ. وَقَالَ بَصُّ
 السَّافِ: الشَّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَتُسْتَبِيحُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السُّخَائِمُ. وَيُقَالُ: الْمُدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ سِرِّ الْوَالِدِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصَفَ الشُّعْرَاءُ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبَقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلْتُمْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعَ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيُعْرِفُهُ خَرَابَ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَأْهِيمِهِ وَأَشْعَارُ تُظَرِّبُهُ

(للفخري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْإِسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
الْمَاءُ يُفَرِّقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا

حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَلَّاحِظُ : الْبَيَانُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ

الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ

وَحَسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضْحِيقُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ

الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ

الْمَعَانِي وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .

فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ

اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .

وَقَالَ الْجَمْتِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :

الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ

الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِقُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

الْمُلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الْكَنْزِ الْمَدْفُونِ)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحِوَالِيَهُ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
 يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُتِلَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُتِلَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْضَدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكْتَنَفِيُّ مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَمَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى الثُّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنُوَابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَشْتَغِلُ بِهَا

يَاوَانٍ مُخْتَلَفَةٍ وَطَعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ لِشَجَرَةٍ لَا تَدْوَى . وَزَهْرٍ لَا يُنْوِي .
 وَثَمَرٍ لَا يُفْنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجَانِسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتْرَجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْجَبْ . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمُ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الْعُصْحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَجْبَانَ وَإِبِلٍ
 وَأَعْيَامٍ مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمٍ تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعُ . وَإِنْ أَلْمَى
 أَمْنَعُ . وَإِنْ أَنْبَى أَدْمَعُ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعُ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَنَزْهَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ الْوَدَائِعِ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ . وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ . وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخَّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْئِسَةٍ وَخَفَةِ مَحْمَلِهِ . لَا يَزُوكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعْمَ الْمُدْخَرُ وَالْعِدَّةُ . وَالْمُسْتَعْلُ وَالْحِرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظْرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلَدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتَهُ نَوَّهَ عِنْدَهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُقْعِدُ الْعَيْدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَىٰ رَبِّهِ وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَاقًا بِإِلَاءِ أَدَبِ الْعِلْمِ كَثْرًا فَلَا تَفْنِي ذَخَائِرُهُ فَالْعِلْمُ فَاطَابَ لِكَيْ يُجَدِّدَ جَوْهَرَهُ قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعَتْ بَحِثُ تَسَعَى
لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ
قَالَ آخِرُ:

وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
وَإِزْكَنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ وَاعْنِ بِهِ
وَكُنْ فِتَى مَا سَكَ حَضْرَ التَّقَى وَرِعَا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا
وصف الكتاب

١٤٥ الْكِتَابُ نِعَمَ الْإِنْسِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةُ فِي دَارِ الْعَرَبِيَّةِ . وَنِعَمَ الْقَرِينُ وَالذَّخِيلُ . وَنِعَمَ الزَّائِرُ وَالنَّزِيلُ . وَعَاءُ مُلِيَّ عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ مَرْحًا وَجِدًّا . وَحَبْدًا بَسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي خُرْجِ وَرَوْضٍ يُقَلَّبُ فِي حِجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا
 وَالْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِقَتِي أَبَدًا
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقْتَ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ
 فَأَلَمْسَكَ مَهْمَا تَرَاهُ مُمْتَنِنًا
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

أَثَابُهُ فِي عِيُونِ رَامِقِهِ
 مَهْدَبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 بِفَهْرِ عَطَارِهِ وَسَاحِقِهِ
 وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
 كَمَ سَيِّدٍ بَطَلٍ أَبَاؤُهُ نُجُبٌ
 وَمُتَرَفٍ خَامِلٍ إِلَّا بَاءَ ذِي أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَثْرٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالَ شَخْصٍ ثُمَّ يُحْرِمُهُ
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
 يَا جَامِعُ الْعِلْمِ نَعَمْ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

يَزِدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا تَلَبَّ
 وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ
 بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلُ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوُ بِهِ شَرْقًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَأَتَقِهِ
وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ تَوْبٍ أَنْتَ لِإِسْمِهِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَخِي بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مَجْدٍ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاصِلٍ
يُسَاقِ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِذِي الْعِلْمِ وَالْحُجِيِّ
كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرَهُ
وَقِيلَ أَيْضًا :

الْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ
إِغْنَمَ جَنَى ثَمْرَةٍ تَحْظُ بِبَيْلٍ مَنِ
١٤٣ قَالَ الْأَمَّهَابَادِيُّ مُغْرِيًا عَلَيَّ تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطَلَابُ الْمَالِ هِمَّتُهُ
إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّعَلَّمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
 مَا ضَرَّ شَمْسَ الصُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
 ١٤١ وَقَالَ عَلِيُّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ أَمْوَالٍ . أَلْعِلْمُ يَجْرُسُكَ وَأَنْتَ تَجْرُسُ
 أَمْوَالًا . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَأَمْوَالٌ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَأَمْوَالٌ
 يَنْقُصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرٌ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
 الْعِلْمِ وَالْمَلِكِ وَأَمْوَالٍ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمَلِكَ وَأَمْوَالًا مَعَهُ . وَقَالَ
 الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
 يَجْعَلُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
 فَخَالِطُوا رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَابَ خِيَارِهِمْ فَصَبَّحْتَهُمْ زَيْنٌ وَحَلَطْتَهُمْ غَنَمٌ
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ هُدًى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَأَتْهُمُ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَعَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لِنَارِ سَمِ
 ١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمُرءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
 فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
 سَمِعْتُ وَكَيْعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
 وَمِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمِمَّنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مَانَ
 لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَا طَالِبُ
 الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

أَلْفَ عَامٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقِرَائَةِ أَفْضَلُ مِنْ
 طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْحَائِزُ (لابي نصر المقدسي)
 قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
 تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ يَا أَخِي بِهِ فَالْعِلْمُ زِينٌ لِنَ الْبَالِغِ قَدْ عَمِلَا
 وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا تَفْرَقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
 الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
 ١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
 عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
 كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِغٌ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
 يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسْهُ بِالْمُؤَبَقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَافِ
 الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
 الْعُلَمَاءِ مَا امْكُنَ وَلَا يُعَدَّ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
 وَمِنْ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَقْشِهِ
 وَأَعْلَمَ أَنَّ التَّبْرَ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَشِهِ
 وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاةِ نَقْشِهِ

قَالَ الْخَضْرَاءِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
يَزِينُ الْقَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ
وَشِينُ الْقَتَى فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ

وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّبَ لَهَا
وَأَلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ

١٣٧ قِيلَ : إِنْ الْعَمِيَانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقِتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعَمِيَانِ تَجِدُهُمْ أَذْكَى مِنَ الْبَصْرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كَفَّ بَصْرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ

(ابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ حَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

عَنِ الْعَالِمِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ . فَإِنَّ أُمَّتَكَ مِنْهَا مُلَمَّةٌ مَعَ جَهْلِ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُعْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمَلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ
أَمْكَنِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِأَدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَمُجِّنُ إِلَى الثَّقَلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرُقِيَ إِلَى الْفَلَاحِ
فَإِنَّمَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مُخْتَاطٌ بِالْتَرَبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلاً عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بغيرِ
عَقْلِ . وَلَا يَمْتَنِزِلَةَ رَفِيعَةً حَلَّهَا بغيرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُهُ مِنْهَا . فَيَنْحَطُّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عَيْبُهُ .
وَتَكَثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرُ مَادِحُهُ هَاجِياً . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَتَعَدَّنَّ عَنْ اِكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(للشراوي)

١٣٦ سُلِّ الأَخْفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطَنَ . وَمِلاكَ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

وَأَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا السَّنَا. وَلَا أَحْسَنَ الْفَاظَا.
وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمَاعًا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي. ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ.
فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَحَدَّرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَالِكِ أَكْفَاءُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمَّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لِمَنْ أَسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَأَلْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ آتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نَسَبَنَا جُودٌ وَعَلِيَاءُ
فَفَرَّ يَعْلَمُ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ . وَقَضَلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُودَ مِنْ عَقْلًا وَأَفْجَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْمُومَ مِنْ جَهْلًا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا رَبْمًا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَذْبَرَتْ

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجُهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عَشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مِنْ صَاحِبِ الْعُلَمَاءِ
 وَقَرُّ . وَمِنْ عَاشِرِ السُّفَهَاءِ حَقْرٌ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَبَّرْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوَّةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى آسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يَدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيذٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلََا كَكُوكِبِي
 أَفْقَ يُزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أَلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابَ مِنَ النُّحُورِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمْرِي أَفْقَ وَفَرَعِي بِشَامَةَ يُزِينُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَمُحَمَّدُ
 سَلِيلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَاظِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبَقِيَ النَّبِيُّهُ الْمُؤَيَّدِ
 يَسُدَّانِ أَنْفَاقَ النَّفَاقِ بِسِمَةِ يُزِينُهُمَا حَزْمٍ وَعَضْبٍ مَهْدِ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

الباب الثامن في الذكاء والآداب

في العقل وماهية

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التَّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْحِسُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْوَجْهَ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهُدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ

(الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يَفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ فَنٌ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُنْيَةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوْءٌ مِنْ رَكِبَهَا زَلٌّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

في التواضع والكبر

١٢٩ إَعْلَمَ أَنَّ الْكِبْرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبْرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَحَامَى الْكِبْرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشِيهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للأبشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ أَفْتَخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعُلَيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّنَافِيفِ مَرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِضْغَعِ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَكْظِمِ الْعَيْظَ وَلَا تُبْدِي الصَّجَرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لِلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِحْمِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلِّكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقَ أَفْوَاهُ
وَلَلْقَبِ عَلَى الْقَبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلًّا تَسْرِنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلْمَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسَلَّمَ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يُكَدَّرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْعَتَائِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبِلَهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّمْصِيرِ . (وَلِيَحْمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةِ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ أَخَا كَمَا دَتَهُ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَّاصِلٌ مِنْ هَوِيَّتِ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاءٍ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاتٌ وَوَدٌّ لَا تُخُونُهُ اللَّيَالِي
وَأَوْزُهُ عَلَى عُسْرِ وَيُسْرِ وَيَنْفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِالْجَافِ وَلَا الْعَدْرُ الْمَذْمُومُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتَهُمْ دُرُوعًا فَكَاثُرُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلْتَهُمْ سِيهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَاثُرُوا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَّقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَّقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ
١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَى أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفِرْعِهِ . وَفِرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْقِرْعُ الْبَاطِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بَنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحَفِظَ عَلَى زِمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفِرْعِهِ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكُرْمُ وَأَعْصَانُهُ التَّقْوَى . وَأَمَّا الْقِرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْكَبْرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْجِهْ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَتَرَ الْبُغْضَ بِالْقَاطِظِ الْهُوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ بِغِشٍّ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غَيْبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَرُ أَيَقْظَ مَنْ كَانَ نَعَسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَالدٍ
كُنَّا كَسَاقَ تَسْمَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كِذْرَاعٍ نَيْطَتْ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَالٍ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْقُهَا
وَتَحْرُسَهَا مَعْرَضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْآبِيَّ بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَيَا لِكُظْمٍ حَتَّى يَعْتَدِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ الثَّقَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ بُرِّعُ مَالِي
 فِيمِثْلِ ذَا ثِكْلِكَ أُمَّكَ تَبْتَعِي رُتَبَ الْمُعَالِي

١٢٢ قَالَ الْعَنْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَاللُّبْسِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَلْحَى الْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْبَلُ الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَاللُّسْرِ
 لَا تَخْلُطَهُمْ بغيرهم مَنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالصُّفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمُنَوِيُّ :

أَتْرَعُمُ أَنْتَ الْخِذْنُ الْمُفْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٍ مِنْ أَصَادِقِهِ حُفًّا
 وَجَانِبٍ مِنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبَقِي
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذْمُكَ إِنْ وُلِيَ وَبِرُضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّأْيِ مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلًا
 ١٢٣ قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرُغَ بَإِنَّ مِنْ أَصْلِهِ

وَاسْتَظَرَفَهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدَدَهَا . فَرَدَدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
 مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي خِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ
 (لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ وَأَيُّ الشَّرِيكِ فِي الْمُرِّ أَيْتَانَا
 الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
 أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
 وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِيَاءِ عَلَيْنَا
 مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمِينًا
 قَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
 وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
 فَعِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
 ١٢١ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
 مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرَهُ فَجَاءَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
 مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَا الْمُلُوكِ مِنَ الْحَمَالِ
 مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمُوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
 إِنْ كَانَ ذَا آدَبٍ وَظَرَ فِقَلْتَ ذَلِكَ أَخُو ضَلَالِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحَنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَعَدَّتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةِ
وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ تَبْغِي شَمَائِلَهَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلِّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ إِسْحَاقُ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوصِلِيُّ :

لَا تَتَسَبَّوْنِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
عَذْرَ فُلَيْسِ الْعَذْرَمِنْ شِمْتِي
وَبِالْمَسْرَاتِ الَّتِي وَلَّتْ
وَعُمْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حَلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْمُجَنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُعْنِي بِهَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ
وَإِنِّي لِمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعٌ مِنْ حَضَرِ الْمَجْلِسِ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

المرجل . ويزميه مثل الجندل . ثم يقول : إنما كنت أزعج . أخذ هذا
المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال :

تلقى ألقى يلقى أخاه وخدنه في لحن منطقه بما لا يفقر
ويقول كنت مزارحاً وملاعباً هيات نارك في الحشى تتسعر
أوما علمت وكان جهلك غالباً أن المزاح هو السباب الأصغر
(للقيرواني)

الصدقة وخالص الودة

١١٧ (قيل في النبج) : الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث
العينين . (ومنه) الصديق الصدوق . كالأشقيق الشفوق . (ومنه)
الصديق عمدة الصديق وعدته . ونصرته وعدته . وربيعه وزهرته .
ومشتريه وزهرته . ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل . وليس للصديق
إذا حضر عدل . ولا عنه إذا غاب بديل . ومثل الصديقين كاليد
تستعين باليد والعين بالعين . (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة .
وفراقه سم الممات . (ومنه) لا تساغ مرارة الأوقات . إلا بحلاوة
الأخوان الثقات . فاستروح من غمة الزمان بموانسة الخلان . (ومنه)
الحاجة إلى الأخ المعين . كالحاجة إلى الماء المعين . ولبعضهم في
معنى هذا الباب :

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يصلح من شأنه
فإنما الدنيا بسبكانها وإنما المرء بإخوانه

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤْفَقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالِدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرَبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرَبَّمَا ضَحِكَ الْكُذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَغَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرَبَّمَا صَمَتَ الْكُذُوبُ تَخَلُّفًا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرَبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبَصَمَتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِضْحِكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَاةُ
تَكَرَّهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةَ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ . الْمُزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ
كَالشَّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّادِقِ . وَيُنْفِرُ
الرَّفِيقِ . وَالْمُزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ
الْمُرُوءَةَ . وَيُبْدِي الْخَفَى . لَمْ يُجِرَّ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الْغَالِبُ بِالْمُزَاحِ وَاتْرُ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ تَارُ . وَالْمُزَاحُ يُجْلِبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرَهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذَكَرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَاحِبُ
بْنِ عَبْدِ الْقُدُوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍ عَلَى غِشٍّ يُنَاجِيَنِي
إِنِّي لِأَكْثَرُ مِمَّا سَمْتَنِي عَجْبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَعْتَابِنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنَّاكَ يَا تِنِي
هَذَا نِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفِ لِسَانَكَ عَنِ شَتِيٍّ وَتَرِيَنِي

١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّمِيمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةَ إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عِدَاوَةَ إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بَدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثِقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْمَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(اللابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكُذْبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَأَخْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ . وَعَنْ خُمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِابْنِهِ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُسَيِّدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْبِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

وَأَذْكُرُ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَرُوا وَلَا تَبُؤُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

(ابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقِيُّ :

إِنَّ الْكُرَيْمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكُرَيْمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَمَّنْ أَوْدُهُ تَوَهَّمُ أَنْ أَلُودَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضِنَّةٍ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِنْ هَمَّازٍ مَشَاءَ بَنِي مِمْ
الْآيَةِ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُقُوطُهُ وَضَعْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارِكُمْ الْمَشَاوِنَ بِالنَّمِيمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلُّ شَفَازٍ . مَلْعُونُ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ نَمَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ (وَالشَّفَازُ الْمُحْرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقَى
بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ . وَالْقَتَّاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْوَصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهَمُّ السَّمَاةِ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تَقَطَّعَ الشَّجَرَةَ قَتَبَتْ

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتَبْدَادِ بِالسَّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للشراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْبَصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمُسِرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ
وَذَاكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمِعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي
١١٢ (فِي النَّجْرِ): إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسَّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْتُقِ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَأَفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ آخَرِي
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمُعَارِيضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبِ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَهُمَا أَتَهُمْ بَرِيًّا بِجِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الفية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْتَرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فِيهِتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمَا مُطَبَّقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَى
 اللَّهُ وَلَا تُطَلِّقْ هَذَا الْمُجْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْسِنِ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للسهراوي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْتَبُ
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثُرَاتَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سِجْنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِصْغَالُ
 إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَّتْ عَقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شِنْعَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لَيْوَنَ التُّجَيْبِيُّ :

تَرَهُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ تُعَابٍ بِهِ وَأَرغَبُ بِسَمْعِكَ عَنِ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَبْنِيكَ وَأَطْرَحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كتمان السر

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لِأَخِيرٍ فِي آنِيَةٍ لَا تُمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لِأَخِيرٍ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرٌ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنَ
 النَّاسُ سِرَّهُ . وَمَنْ حَكَمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَمَّ عَقْلَهُ .

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَائِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ
تَسَعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عَزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَعَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ هَمَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صِحْفَتَكَ . لَأَعْمَدْتَ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحْتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقْلُنَ
بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَا

(للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مَمْقُوتٌ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتٌ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَأْقُوتُ
١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَأَغْتَ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكَ
أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْهُ
نَفَعٌ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ صَدَعٌ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجْرِ . وَأَنْفَذَ مِنْ وَخْرِ الْأَبْرِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَأَجْرٌ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْقُلُوبَ مَزَارِعَ فَازْرَعْ فِيهَا طَيْبَ

وَإِنْ طَرَفْتَنِي نِعْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
سَأْمَعُ قَلْبِي أَنْ يَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَظْرِي وَجُفُونِي
كَتَبَ ابْنُ بَشْرِ الْمُرُوزِيِّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا بِلَا قَتْرٍ صَفْوًا بِلَا رَتْقٍ
خَالِصَ فُؤَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهِ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :
لَا يُحْزِنَنَّكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَالَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رِخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أُلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمُصْلِحَةُ فِيهِ . وَمَتَى أَسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
فِي الْمُصْلِحَةِ فَالْسُّتَةُ الْإِنْسَانُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يُجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

وَلَهُ أَيْضًا :

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ يُؤْتِيكَ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْحَهُ بَلِيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَمَحَقُ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّرِّ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَعْتَدُّ نِعْمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدُهُ غِبْرًا . وَعَدْلُ قَضَائِهِ حَيْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدِي لِيْلَهُ . وَلَا يَنَامُ جِسْعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَمِرٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَمَكَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ الْمَلَائِكَةِ .
فَصَارَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرَاصِدِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبِّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْرَقَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ
وَيَكْثُرُ الْهَمُّ . وَالْأَبْيُ الْعَتَاهِيَّةُ :

أَيَارِبِ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَدُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَدَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْدِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِشَارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَبُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَاءٌ يُشَاوِرُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَأَسْتَشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَحَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِيَ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لابي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 فَالِدْرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرَهُ ثَلَاثٌ فَخِذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالزَّمْ طَرِيقَهُ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَدَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مِنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْيَابِ الْأُمُورِ كَأَمَّا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فِطْرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للأبشيهي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِحَةٌ وَلِلْبَدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُسْتَنَبِيِّ :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ أُحْمَلُ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَّغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ أَلْقَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنِ مَشُورَةِ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْجُنَّاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسَاكَ الْغُلُّ أُمَّتَهَا وَمَا خَيْرٌ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُوبَى حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَسُجُّ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَلَامًا مِنْ حَوَائِجِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (لِلْحَمَوِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمَ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمَ دِينَ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
وَإِلَّا فَعَلَّ لَا تَسْتَرِخْ وَتُرْخَ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتِ وَأَنْتِ أَكْرَمُ وَعْدِي لِأَخِيرِي فِي وَعْدِي بغيرِ تَمَامٍ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتِ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَئِنْ جُمِعَ الْأَفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدِي إِذَا كَانَ كَاذِبًا . وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَتَنَّى بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَانَ
الْمُتَدَبِّئِ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ . وَانْكَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُجَلِّوهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعُودَ نِقْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكِرَامَاتُ
وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكِرَى مَاتُوا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلِ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْسِبُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثًا أَتْلِفُهُ وَلَا تُقَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتِ مِيَّ عَلِيٍّ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْجَنْجَلَ لَا يُجْلِدُ الْقَتِيَّ وَلَا يَهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُفْنِي الْجَنْجِلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةَ الْقَرَمِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُقْنَعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَهَ ذَلِكَ
 الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
 (للغزالي)
 قَالَ شَاعِرٌ :

الْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْحَتُمُ
 الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُنْتَمِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّمْهِيدُ يَنْتَظِمُ
 ١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
 ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَأَشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
 يَذُكُّ . فَقَالُوا : فِي عَدِّ فَكَبَّتْ رُفْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
 يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
 وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَاسْرُتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَهَرْتُمْ . وَخَوَلْتُمْ
 فَعَسَفْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَفَقَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِيهَامَ
 الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّامٍ مِنْ قُلُوبِ أَجْعَمْتُمْهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَيْتُمْهَا .
 أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
 فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
 مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ
 (لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَّاتِ أَيَّامَ وَرَارَتِهِ عَلِيُّ بْنُ
 عَيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
 لَا تَلْمِني عَلَى نَكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِنْفَاقَ عَلَى
 إِنْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِلَاقٍ . وَآخِرُ بَيْنٍ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي

أَفَادَتْنِي الْفَنَاءَةَ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْفَنَاءَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَإِشْتَرِ بِعَدِّهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ ابْنُ وَابِصَةَ :

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقَرًّا
قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ أَقْعَ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَهَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّمَانِيِّ فِي كِتَابِ سَيْرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُعِدُّ الْحِجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفُ عَلَى جَانِبِ الْبِئْسَاطِ
وَيُخَاطِبُهُ وَيَعُودُ مَهْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جَهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتَهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عِبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجْنَفْتُ أَوْ لَأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَأَغْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقَى
النِّبْيَةِ جَمِيلِ الطَّوْبَةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

بَلَاءٌ وَالْمَا الْفُقَرَاءُ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَالْكُبْرَاءُ . وَيُقَالُ : اِكْلُ شِبْرٍ قَامَةٌ مِنْ أَلْهَمٍ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَبَعَتْ هَمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلَتْ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاصْكِنَهَا تَوْتُرُ الْعَافِيَةِ

وَطَالَمَا رَضِيَتِ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ بِجَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كَرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
فَارْضَ بِجَالِ فَقْرِكَ . وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى

إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ

ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثِ كَانِ

يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطُرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطُرِينَ
فِيهَا يَمِجِي إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَتْعِبُهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا

وَأَشْغَلُهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كَلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ

إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَّهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُتَحَاجًّا إِلَيْهِ

قَالَ آخِرُ :

وَأَرْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَأَخِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ الْفَرْجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرَ فِقِي الْأَوْاءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ
وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَتَدَبُّ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا
فَلَا نَعْمَ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا
تَقَلُّبُ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ
قَالَ آخِرُ :

وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَعْرِفِ الْحُرُّ
جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
فَلَيْسَ بِحِزْمٍ أَنْ يُرَوِّعَكَ الضَّرُّ
يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرُّ
قَالَ آخِرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ
وَقَالَ آخِرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ أَصْطَبَارُهُ
قَالَ الْمُرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ
وَاللَّحْمُ خَيْرٌ فَأَعْلَمَنَّ مَغَبَّةً
فَبِالْحِلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالشَّمَمِ
مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظُلْمِ

القناعة

٩٨ إَعْلَمَنَّ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَنْبَلَةُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالنُّعُومِ وَالْحَسْرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَى الْخَلْقِ

إِن أَلْتِ مُلَمَّةٌ بِي فَإِنِّي فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
حَارٌّ فِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بَانَ لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَأَبْلَوَاءُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لِأَعْظِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ
وَكَمْ مِنْ فَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبَدِّ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَدِيلَهُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدُمَيْتَ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يَكْسِفُ النُّجْمَ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَبْتَعْجِ

أَبَابُ السَّابِعِ فِي الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصدر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابَ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ الشَّجَرِ فِي الْحَوَاجِ. فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَعْفَّ بِاللَّهِ عَفْوَهُ.
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينُهُ وَإِنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْتَهَجِ:
الصَّبْرُ أَحْمَى بِيَدِي الْحُجَّجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعِ النَّصْرَ
(لِلْمَقْدِسِيِّ)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلَّتْ عَلَى أَلْيَسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوَطَّتْ الْمَكَارَهُ وَأَطْمَأَنَّتْ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِأَنْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْهُ عَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَادِثُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَزَاءُ

الْجُهْلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا أَرْتَكَبَ مِثْلَكَ هَذَا الْمُحْظُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءَ
 وَالْمُفْتُونَ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيهِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآلَمَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِيهِ إِلَى جَانِبِيهِ فَمَا أُنْجَدَاهُ
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يَلَاهِي . الْجُنْدِي السَّاهِي . وَغَاوَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ الْجَيْدُ الْحَسِيبُ . لَا تَقْتَبْ عَلَيَّ كَلَامِي . وَلَا تَسْتَنْقِلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرِ خَطِيرٍ . لَهُ الْجَمِيلَةُ التَّامَّةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَّةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
 وَالْفَضْلِ الزَّاهِرِ سَلَمْتُكَ الطَّبَّ أذنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَعْتَبْ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِي عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْجُنْدِي
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ أَحْتِيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْجَيْرَانَ . وَأَسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِذَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتَهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَعَالِي . وَإِنَّمَا أوردتُ مَا جَرَى لِتَعَلُّمُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّفْخِيذَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيذِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَفْخِيذِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْخِيذِ

(فاكهة الخلفاء لابن عرشاه)

وَقَايَةً. وَيُنْكِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نِكَايَةً. فَلَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى كُلِّ مَنَا وَرَزَقَهُ.
 فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَافِهِ وَدُونَ حَقِّهِ. وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
 مَكَانِي. وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي. وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالَمُ فَهُوَ
 مُرْشِدُ الْعَالَمِ. وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا. الْمَهَادِي إِلَى يَقِينِنَا. فَإِذَا شَرَفُونَا
 بِأَقْدَابِهِمْ. وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ. فَاهُمْ الْفَضْلُ عَلَيْنَا. وَالْمِنَّةُ
 الْوَالِصَةُ إِلَيْنَا. وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَابِعَهُمْ. وَشَرَّ جَانِ تَابِعَهُمْ. يَا بِي طَرِيقِ
 تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي. وَتَتَنَاوَلُ سَفْرَجِي وَرُمَائِي. هَلْ بَايَعْتَنِي بِسَامِحَةٍ.
 وَتَرَكْتَ لِي الْمُرَاجَةَ. أَوْ لَكَ عَلَيَّ دِينَ. أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيئَةً دُونَ عَيْنِ
 أَلِّكَ عَلَيَّ جَمِيلَةً. وَهَلْ بَدَيْتَنِي وَبَيْنَكَ وَسَيْلَةً. تَقْتَضِي تَنَاوُلَ مَالِي.
 وَالْحُجُومَ عَلَيَّ مِلْكَئِي وَمَنَالِي. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. فَلَمْ يَبْتَرِضْ مِنْ رِقَقَاتِهِ
 أَحَدٌ عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلامِ. وَأَعْتَدَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَلَامٍ. فَأَوْثَقَهُ وَنَاقًا مُحْكَمًا. وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا. ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً. وَهُوَ عَلَى
 الْخَلَاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. رَعَا مَزَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرِيفِ عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ.
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهِ. وَالْفَاضِلُ النَّبِيهِ. أَنْتَ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ.
 وَعَالِمٌ بِمِنَاجِ الدِّينِ. عَلَى قَوْلِكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ. وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
 بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. بِقَوْلِكَ تُسْتَبَاحُ الدَّمَاءُ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْدُخُولِ فِي
 هَذَا. أَفْتَنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ. مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ الثُّعْمَانُ.
 أَمِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمِ مَالِكٌ. فَجَبَّحْنَا بِذَلِكَ. وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَعَوُّثُ
 وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ. وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ. وَلَا عَلَى

بعض السنين . قديم قرية منين . وسكن في بستان . كأنه قطعة من
الجنان . فيه فاكهة ونخل ورمان . ففي بعض الأعوام . أقبلت الفواكه
بالإنعام . ونثرت الثمار ملابس الأشجار من الأذيال والأكمام .
فألجأت الضرورة ذلك الإنسان . أن خرج من البستان . ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربعة رجال . أحدهم جندي والآخر شريف .
والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف . قد أكلوا وسقوا . وناموا
والتقوا . وتصرفوا في ذلك تصرف الملاك . وأفسدوا فسادا فاحشا
خادشا . ومارشا وناوشا وناكشا . فأضر ذلك بحاله . ورأى العجز في
أفعاله . إذ هو وحيد . وهم أربعة وكل عنيد . فسارع إلى التخليد .
وعزم على التفتيح . فابتدأ بالترجيب والبشاشة . والإكرام والشاشة .
وأحضر لهم من أطيب الفاكهة . وطايبهم بالمفاكهة . وسامح
بالمازحة . ومازح بالمسحة . إلى أن أطأوا وأستكأوا وأستكأوا .
ودخلوا في اللعب . ولاعبوه بما يجب . فقال في أثناء الكلام : أيها
السادة الكرام لقد خزتم أطراف المعارف والأطراف . فأني شيء
تعاون من الحرف . فقال أحدهم : أنا جندي . وقال الآخر : أنا
شيخ الفضاة جدي . وقال الثالث : أنا فقيه . وقال الرابع : أنا تاجر نبيه .
فقال : والله لست بنبيه . ولكن تاجر سفيه . وقيح الشكل كرية .
أما الجندي فإنه مالك رقابنا . وحارس حجابنا . يحفظنا بصولته .
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته . ويجعل نفسه لنا

بَرَكَ . فَضَرْبُهُ وَمَا اخْتَرَكَ . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ انْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمُخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
 الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحَيْلَةَ .
 فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَيْلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ . وَعَبَّرَ فِي مَقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ جَمَلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيِيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنْ الْمَاءِ مَا يَمَلَأُ الْبَرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 النَّهْوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَامِيَ مِنَ الْمَشَاقِّ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْقِيلِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمْثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أوردتُ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْغَدَّارَ . وَالْحَسُودَ
 الْمَكَّارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيَفْرَعُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا
 كَمَا هِيَ . وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرِكُ مَكَيدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَارَةً
 يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ بِالْحَضْمِ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون بحته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيثِ رَجُلٍ مُسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَقِي

فَجَدَّ فِي تَفْصِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمُلَازِمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالَ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالَ لَا يَبْقُ لَهُ بِحَالٍ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِغَالِ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ أَشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزْرُ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِدَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْمَلْحَ قَدَّ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامَهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدَّ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَضْرِ هَذَا الْأَمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فَزَيْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاةِ مِنَ الْإِرْتِهَاصِ وَالْإِرْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرِّصَاصِ . فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٌ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَعَدِيدٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي حَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكْ فِيهِ وَتَقَرَّغْ . وَتَصَلِّ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَقَرَّغْ . وَأَسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْمَلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكَرَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فِيمَا أَنَّهُمْ يَغْيِرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُحَقِّقُوهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أضعفوه . فَتَحْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْبِ الْمِنَّةَ . وَشَفَّ بِدَرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أُذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمْلُ الْمَعْهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْخَاضَةَ

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْخَيْلُ تَلْحَقُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثُّعَابِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَاتَّبِعَنَّ مَا هَيْتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النُّجْمِ . يُخْلِفُ النُّجْمَ فِي الرَّجْمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُوَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ التَّلَاجِ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهَوَّ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ الدَّيْكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانَ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَنَعْمَدَ بَيْنَنَا عُمُودَ الْمُصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فَدَعَّ عَنْكَ الْحَاجَةَ وَاللِّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَافَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّبِّ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَتَلَفَهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَاصِ جَانِبًا

للجمل والمخ

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَفِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَيَتَقَوَّتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلاَحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاَحَةِ .

الْمُعَاشِرَةَ وَالْمُرَافِقَةَ . فَتُحْمَى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوسُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَافِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُقَابِ . وَيَبِيْتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْعَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْزَبِ . وَيَتَاخَى الدِّيَكُ وَالثَّلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ أَرْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثَّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْحُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادِقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْمَحَبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مِمَّنْ مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَرَا عِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْقَوْلَ . وَالذِّيَكُ يَتَلَقَّى إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْحَيْكَالِ . فَقَالَ الثَّلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَجِي . أَنَا أُبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصِرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَا سِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَتَلَقَّى إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرُ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَتَلَقَّى
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَيَّ بَعْدَ لِسِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطَلِّعُنِي فِيمَا تَطَّوَلُ إِلَيْهِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَائِرًا . وَنَقْعًا إِلَى الْعِنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْحَصِينِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدِ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنَسَى
صَوْتَهُ الْكَتَّانِي وَالدهَّانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطَابٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنَعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصَّبِيحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقُوْتِ . وَمَصَائِبَ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأَسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدِي مِنَ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنَ الْوِلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نَظِيرَهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السَّاطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرَ مُتَادِيًا فَتَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءَ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيْتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكُ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبِهَائِمُ وَالصَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنِّعَامُ . وَالصَّقْرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُوقَلْمُونُ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِسْعَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسُنُ

فَبَجْرِدٍ مَا فَتَحَ فَاهُ بِالْمُهْزَةِ . اُتَمَلَّصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْزَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَتَأَمَّلَ عُنْبِي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ كَانَ فِي بَعْضِ الْقُرَى لِلرَّيْسِ دَيْكٌ . حَسَنُ الْخَلْقِ وَدَيْكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَهَضَمَتْ عَلَيْهِ
 مِنَ الْعُمْرِ سِنُونَ . وَأَطَّلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَلَسَى
 حُلُوهَ وَمَرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلثَّعَالِبِ شِبَالَكُ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَائِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيِّهَ
 نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حَيْلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
 فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَّفَ عَلَى بَعْضِ الْجُدْرَانِ . فَنَظَرَ
 فِي عَطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خِيَالَ تَاجِهِ الْعَمِيقِي .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِي . وَنَفَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنْفَسِ . وَسَرَّ أَوِيلَهُ الْمُنْفَسِ .
 وَالثُّوبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرَقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَاطِرَ بِهِ جِسْمَهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَتَجَمَّرُ . وَيَتَصَفَّ
 وَيَتَخَطَّرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّمِيمَةِ . فَصَعِدَ

وَلَيَالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقَّاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
 سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ اُلْتَقَفَهَا .
 ثُمَّ بَعْدَ اُقْتِلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى اُبْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا قَبْلَ
 اِسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
 الْبُرْعُوثُ وَدَمُهُ . وَالْعُصْفُورُ وَدَسْمُهُ . اُسْمِعْ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عَمَرْنَا
 فِي صَوْنِهِ اُنْقَضَى . لَا تَعْجَلْ فِي اُبْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . فَبَقِيَ
 بَقَايَ فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
 اَلسَّمَكُ فَالْكَلُّ عَيْدُهُ وَرِعِيَّتُهُ . وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
 إِنِّي وَاحِدٌ أَبُوي . وَارِيدُ مِنْكَ اَلْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ اَلنَّذُورَ . حَتَّى
 حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي اَلسُّرُورُ . فَمَا فِي اُبْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا اَسْدُ
 لَكَ رَمَقًا . وَلَا اَشْغَلُ لَكَ مَعْدَةَ فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَقْفِرْ نِي فِيمَنْ
 أَحْبَبْتُ وَلَا اَسْتَعْنِي فَالْأَوْلَى أَنْ أَقْرَعَ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ .
 فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ المُصَادَقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ اَلْمُحَبَّةِ وَالمُرَافِقَةِ .
 وَيَتَحَمَّلُ لَكَ اَلْجَمِيلَةَ . وَالمِنَّةَ اَلتَّامَةَ وَالفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَاعَاهِدْكَ إِنْ
 اَعْتَمَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي . أَنْ اَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
 سَمَكَاتٍ بَيْضِ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
 يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
 وَلَا كَدٍّ تَتَحَمَّلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ اَلْبَلْشُونَ . هَذَا اَلْعُجُونَ . اَعْرَاهُ
 اَلطَّعُ . فَمَا اَبْتَلَعَ . بَلَّ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : اَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

كُصْفُورَةٌ فِي يَدِ طِفْلِ يَهِينَهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكٌ أَلْجِنَاحَ فَيَهْرَبُ
فَنَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَاعَبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ الْفَخِّ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَنَاهِيكَ قِصَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا عَوِي
وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ أَشْهَرَ أَمْرَهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرْتُ بِجِدَّةِ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يُجُولُ فِي فِكْرِي . فَغَطَّتْ حِدَّةُ
أَسْتَبْصَارِي فَوْقَتْ فِي فَحِّ اغْتِرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَعُغْدَرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ الْجِنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَاةٍ وَخَيْرٍ . يُرْجِي
الْأَوْقَاتِ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكََةٌ .
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْجِبَارِ وَالْعُغْدَرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنْهَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ .
وَأَرْتَجَّ لِقَوْتِ قُوْتِهِ أَبْوَابَ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوْتِ . فَلَمَّ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَشِيءٌ
مِنَ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحَوْتِ . وَامْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَسِي الْعُهودَ وَالْأَيَّامَ . وَتَبَضَّ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
قَوَّبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانٍ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ .

المهدد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَامَ بَعْضِ عَيْدِهِ الصَّلْحَاءِ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَ مِنْهَا هُدُودًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَقِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْمُهْدُودِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُتَنَفِّتٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْقَفْصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّلَاجِ وَالقَبَاءِ وَالذَّبْيَاجِ لَا تَتَعَدَّدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْمُهْدُودُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنَّهُ مَسَلِكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايِي شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأَطْنَهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْحًا . يَرُومُ لِي فِيهِ رِخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحِيحِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّئُهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعِيَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْمُهْدُودَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يُلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

وَلَا آخَ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْنَاكَ عَلَى مَا قُلْتُ
 إِلَّا مِنْ فَرَطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدَّيْكَ عِنْدَ الْقَطْرِ
 فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّيْكَ مِنْ حِينِ
 أَنْفَلْتُ عَنْهُ الْبَيْضَةَ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفْتُ
 لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لِشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَعْدُ مِنْ
 أَنْ يُخَدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُغَشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
 صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
 وَرَبُّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
 مُنْحَقِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ زَوْلَ
 مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
 يَتَنَبَّأُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْحَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
 أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطِرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
 جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَقْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
 غَزْوَانَ . فَمَخَسَ وَقَهَّرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
 وَقَدَّرَ . فَاشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدَّيْكَ وَاشْتَمَلَ . وَأَنْتَقَضَ وَأَبْرَأَلَ . فَارْتَعَدَ
 الْجُرْدُ مِنْ شَيْخِ الدَّيْكَ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَنْتَفَشَ وَأَزْوَى .
 وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْتَقَتْ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَأَلْطَالِبٍ لِلْفِرَارِ مَجَالًا .
 وَالْقَطْرِ بِرَأْقِبِ أَحْوَالِهِ . وَتَمَيَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
 وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُتَقِمِّ . وَهُمْ وَأَكْفَهَرَّ . وَرَقَصَتْ سُورَابُهُ وَأَزْبَارًا .

الدِّيكُ : بَمَاذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبِرُهُ بِمُخْبِرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْثَاءِ . فَصَحَّحَكَ الدِّيكُ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحِيهِ مُتَّجِبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَضْحَكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ .
 وَأَنْقِيَادِكَ لِمُدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صِنَائِعِكَ . إِلَى غَاشِيكَ وَمُخَادِعِكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . الْوَاجِبِ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُفْسِدِ الْفَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمَنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَجَلُّعُ عَقْدَهُ . وَتَنْفُضُ
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرِ مِنْكَ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُسِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ الْوَالِصِلُ إِلَيْكَ . لَمِتَّ هَزَالًا
 وَجُوعًا . وَمَا عِشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرْذًا صَادَقَ هِرَّةً . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مُرَافَقَةً . فَمِنَّا صَحَّةُ
 الْقَطِ وَالْفَارِ . كَمُصَادَقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَطُّ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلدِّيكِ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرَ . فَقَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَالسُّحْتِ الْمُنْغَمِسِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْفَلْعِ . فَلَا تَشْعُرْ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي السُّلْخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَعُ فِيكَ

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَتِ الحَبَّةُ بِالمَوَاقِفَةِ .
 وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْ مِنْ الجَانِبِينَ تِلْكَ الحُصْلَةَ
 الذَّمِيمَةَ . وَنَسْتَأْنِفُ العُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الحُلُقِ المَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
 لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ القَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الإِخَاءِ
 إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
 فَضْلًا عَنِ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسَمَنًا . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي
 صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
 بِمُعَاطَاةِ الأِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ آمِنًا فِي مَجِيئِكَ
 وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَإِنِّي أَلْتَرِمُ لَكَ كُلَّ
 يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النُّومِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ .
 صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الهَرُّ هَذَا البِرَّ . اعْجَبْتَهُ هَذِهِ
 النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لِأِكْرَاهَا وَلَا
 إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الجُرْدَانِ . إِلا طَرِيقَ الأَمَانِ وَالإِحْسَانِ .
 فَرَجَعَ الجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الحَرَكَةِ جَدْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي القِطَّ كُلَّ يَوْمٍ
 بِمَا أَلْتَرِمُ بِهِ مِنَ العَدَاءِ وَالعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ القِطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
 خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا القِطِّ دِيكَ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
 وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْتِسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
 جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِيكَ تَعْوِيقٌ عَنِ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لهُمَا لِقَاءً .
 إِلا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ القِطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

السُّكْنِ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْغَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْأَقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَمَّاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَأَدَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَسِيطَةِ الصُّلْحِ بِسَاطِ الْأَنْبَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَحْبَبَ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرَبَّ عَلَيْهِمُ الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَفْعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُهُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَرَمَ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ الْمَالِ مَا
 وَقِيَتْ بِهِ النَّفْسُ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِفِئْلِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرَمٍ مُبِيرٍ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالْتَوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يِعْزُ عَلِيٌّ . وَيَعْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُهْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ الْقَطُّ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَّارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الجَّارِ الشَّفُوقِ .

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلْفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَقَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلْبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْفَارِ عَمْرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرَبِيسِ الْجُرْذَانِ . وَبِحِوَارِهِ
مُخْرِنُ سَمَانَ . فَأَجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطْرِ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أُمَّتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخُحُوفِ وَالْمَزَاجِمِ .
فَأَسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَأَسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْفَارِ عَلَى الْعُدْوَانِ .
وَأَفْتَكَّرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . ففَكَرَأَ آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْقَطْرَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهَيِّبًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتِّحَالِ . وَضَعَفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْعُدَّارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَرْجِعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطْرُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ قَلْبُهُ . وَيَفُورُ
حَنْفُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرُبُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى التَّحْوِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجِدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَنْتُمْ الْجُدِّي الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بَعِيَاطِهِ الْغُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتِ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَأَدَ يَحْضُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

فَقَوَّائِمُ أَنْظُرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَّةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمَطْرَقِ يَعْذُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ بِحُسْنِ السَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجُدِّي
وَأَفْلَتَ . وَنَجَّاهُ مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَقَلَّتْ . وَأَقْعَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَخْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْفَبْرُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ فَانَ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدِ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمُتَالِثِ وَالْمُتَالِثِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا
تَلَوَّى . وَبِحِمْرَةِ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَكْوَى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَا وَاهُ . وَكَانَ الْقِطُّ قَدْ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظْرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِيَضِعَافِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفِرْعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنْ الْجُرْعِ . فَسَيَجْعَلُ جِوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَأَنْتَعَشْتَ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَابَ مُصَادَقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَتَنِّي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغِنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغِذَاءِ . فَإِنِ اقْتَضَى رَأْيُكَ
 الْأَسْعَدُ غَنَائَكَ غِنَاءً يُبْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَعْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُقَوِّي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَدَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا ضَلَّكَ . وَيُسِينِي مَا مَلَكَ . وَإِنَّ صَوْتِي
 اللَّذِيذَ . الَّذِي لِلجَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيذٍ . وَخَبْزِ سَمِيذٍ . وَلِلْمَعْطَشَانِ مِنْ قَدَحِ
 نَبِيذٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَأَلُكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالكَ .
 فَغَنَّ مَا بَدَأَكَ . فَرَفَعَ الْجُدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعُصْفُورُ الْحَشَايَهُوِي جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَةَ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَّائِلَ مُجَبًّا وَعَجَبًا . وَقَالَ أَحْسَنُ يَازِينَ النِّعْمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَمِّ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّرِيرِ . فَقَدْ أَخْجَلْتَ
 الْبَلَابِلَ وَالزَّرَارِيرَ . وَزِدْنِي يَا مَعْنِي . وَعَنْ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْنِيِّ وَبَيْنِي

الجدى السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ النِّعَاصِ لِدَيْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِيَطْلُبَ صَيْدًا . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يَجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتِ
الشمس للغروب . فصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قِطْعًا مِنَ المِضَانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانٍ . فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ الْجُوعِ بِالْمُهْجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنَ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَيْقِظًا . وَمِنَ الذَّيْبِ عَلَى مَا شِئْتَهُ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَأَحْرَصُ وَالشَّرُّهُ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَالذَّيْبُ عَائِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيْبٌ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذِّكِيُّ .
فَأَدْرَكَهُ الذَّيْبُ النُّشِيطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَأُسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابَ الْبَلَاءِ مِنْ قُضِيهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَأَسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَلِيْلَةِ . إِلَّا الْمَغِيثُ الْخِدَاعُ وَالْحِيلَةُ . وَأَذَكَهُ مَذْكَرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَقَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجَبِّكُ
الرَّاعِي . لِحَبَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صِدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَشَمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيُرَدُّهُ الْآخِرَانِ وَيُسِفُّهُ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَعَمَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ أُخْتِجَتْ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ أَسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ . فَلْيَا كُنِّي فَقَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِ مِني
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالُوا قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طَيْبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشْمَهُ . فَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ

(كليله ودمنه)

إنهم وثبوا عليه ومزقوه

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَاسَعِي لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنْ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِي
 وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغَ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْقَبُ مَضْلِحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَنْجَزَ مَقَالِكَ وَأَبْعَدَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالْفَاذِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّفْسُ
 الْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمَضَرِّ . وَأَهْلُ الْمَضَرِّ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَأْتِ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَيَّ أَنْ لَا يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيهِ نَفْسُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ: ذَيْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ أَوْى. وَإِنَّ رُعَاةَ مَرُوا بِذَلِكَ
 الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ. فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
 إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
 كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تَقِيمُ
 عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْحِصْبِ. فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
 الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَقَاتَلَهُ
 قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثَخَّنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
 أَنْشَبَ الْقَيْلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكُدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
 يَسْتَطِيعُ حِرَاكَ وَحَرِمَ طَابَ الصَّيْدِ. فَلَبِثَ الذَّيْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
 وَفَوَاضِلِهِ. فَاجْتَهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
 فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُهْمُنَا
 أَنْفُسُنَا. لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكََ عَلَى مَا رَأَاهُ فَلَيْتَنَا مَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ. قَالَ
 الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لِعَاكِمِكُمْ تُصِيبُونَ
 صَيْدًا فَأَكْسِبِكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذَّيْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَخَوُّوا نَاحِيَةَ وَأَثَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا. مَا لَنَا وَالْهَذَا
 الْأَكِيلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا.
 الْأَزِينُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ أَوْى: هَذَا مِمَّا
 لَا يَسْتَطِيعُ ذِكْرُهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
 الْعَلِيمُ : صَدَقَتْ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
 ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
 كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فِهَذَا
 مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدِهِمْ . فَأَنَارُوا ضَبْعَةً فَفَقَرَتْ
 وَمَرَّتْ فَاتَّبَعُوهَا . فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُولا .
 فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
 فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
 اللَّابَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
 يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ :

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّ مَجِيرُ أُمَّ عَامِرٍ
 أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِضُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَانَ اللَّقَاحَ الدَّرَائِرُ
 فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ قَرَّتُهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظَافِرِ
 قَطْلٍ لِدَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوَجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
 ٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

يُحْسِبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اَلْتَمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَ تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرْدُ عَلَى كِبَرِي سَبِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورَطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدِ احْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 اَلْتَمَاسِ اَلْمُخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْهَلَ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سَنَةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيَاةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قَلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا خَلِيلِي أَجْهَلَ قَلْبِكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَشْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ . هِيَ هَاتِ
 وَلَكِنَّكَ احْتَلْتِ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

أَنْطَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْعَيْلِمُ : مَا بَطَّنِي عَنكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
 فَأَتَانِي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ . فَأَرْكَبَ ظَهْرِي
 لِأَسْجُ بِكَ . فَرَعِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَزَلَّ فَأَمْتَطَى مَطَا الْعَيْلِمِ . حَتَّى
 إِذَا سَجَّ بِهِ مَا سَجَّ عَرَضَ لَهُ قُبْحٌ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ فَكَسَّ
 رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ الْعَيْلِمُ : إِنَّمَا هِيَ
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِيبَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أُبَلِّغَكَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 أَعْتَقِدُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْعَيْلِمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَّاسُ الْعَيْلِمِ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَن مَوَدَّتِي فَأَرَادَنِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لِأَشْيَاءٍ أَخْفُ
 وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَدْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَنْقَلِعَ عَنِ التَّمَّاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لِحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالشُّعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَيَتَّقِذْ
 ذَلِكَ فِي لِحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْعَيْلِمِ : مَا الَّذِي

السَّاعَةَ الَّتِي بِجِيبِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قردٌ وغليم

وهو مثل من يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها

٨٣ زعموا أن قردًا يُقال له ماهرٌ كان ملك القردة وكان قد كبر
 وهرم . فوثب عليه قردٌ شابٌ من بيت الملكة فتغلب عليه وأخذ
 مكانه . فخرج هاربًا على وجهه حتى انتهى إلى الساحل . فوجد شجرة
 بين فارتقى إليها واتخذها له مقامًا . فبينما هو ذات يوم يأكل من
 ثمرها . إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتًا وإيقاعًا . فجعل
 يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من تطريح التين فيه . وكان
 ثم غليم كلما وقعت تينة أكّاها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما
 يفعل ذلك لإجله فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلمه . وألف
 كل واحد منهما صاحبه . وطالت غيبة الغليم على زوجته . فجزعت
 عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت : قد خفت أن يكون عرض
 له عرضٌ سوءٌ فأغتاله . فقالت لها : إن زوجك بالساحل قد ألف
 قردًا وألقه القرد . فهو موأكله ومشاربه ومجالسه . ثم إن الغليم انطلق
 بعد مدة إلى منزله . فوجد زوجته سيّدة الحال مهمومة . فقال لها :
 مالي أراك هكذا فأجابته جارتها : إن قرينتك مريضة مسكينة . وقد
 وصفت لها الأطباء قلب قردٍ وليس لها دواءٌ سواه . فقال : هذا أمرٌ
 عسيرٌ من أين لنا قلب قردٍ ونحن في الماء ولكن سأشاور صديق . ثم

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحَدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَالْتَّمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِيَتَّضِحَ مِصْدَاقُ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حِينَئِذٍ نَاشِدُكَ اللَّهُ :
 هَلْ أَبَدِي لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِي وَتَضْجِرِي لَمْ يَنْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَن سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَن
 الْوُفِّ وَالْوُفِّ الْوُفِّ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِعِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تُتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِالْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةً
 وَاحِدَةً لِأَخِيرٍ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنْ الدَّقِّ يَفْسَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَاكٍ فِيَّ وَأَمَّالِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثْقَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصَفْتَ قَطُّ بِالْخِفَّةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفَقَتْ الْعُقَارِبُ تُسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبَخِ الْمُغْلَقِ مِنْ كُوَّةٍ فِيهِ أُمَّتَلَا الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْيِيسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيُفْطِرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوْلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ
 مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلَمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي
 طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
 طَرَفَةَ عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَيْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أُسْتَرَدَّتْ بِي شَرْحًا .
 فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّخْرَ مِنْ سُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
 صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوِحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ
 وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
 أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقَ . فَبَادَرَ عَثْرُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ
 بَدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
 الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ
 الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُحَالُ
 أَنْ مَجْرَدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى
 أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
 وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنَ عَظْمِي وَعَزْمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
 وَبَعْدَ تَخَيُّلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ
 فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمُكَالَمَةِ أَنْ لَا يَتِمَّاكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
 بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَفِي تَعْجَبٍ عَظِيمٍ مِنْ
 أَنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَعْتَةً . نَعَمْ
 إِنَّكَ وُلَيْتَ فِي عُمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمَلْنَا مَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
 أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَّتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
 أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْحَلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهَشَ .
 وَبَدَلَتْ الْعَقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
 وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمَلَهَا مِنَ الْعَجَبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
 وَأَقْفَالًا يُبَدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا
 وَطَفِقَ الْوَجْهَ يُبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
 وَالْعَقَارِبُ تُبْرِئِي نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتِ خَفِيِّ سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
 بِاسْتَفْهَالِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أُقِرُّ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
 عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
 أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلِيتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعْتَ السَّاعَةَ
 مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهَ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
 تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلَاقِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
 الْوَجْهَ : لِأَجْرَمِ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدَّرَفْتَ عَلَى نَفْسِكَ
 كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَلًا
 وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
 يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
 بِرُؤْيَا مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ صَنْعِ
 مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَجِيزِ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَمَلِي وَذَهَابِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ. فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ. وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ.
 وَمَنْ بَدَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرُ بِذَرِّهِ يَكُونُ الثَّمَرُ. وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
 مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ. وَإِنْ حَقَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَحْزَنَ عِي مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ. وَأَنْ تَدْرَعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ. فَقَالَتِ اللُّبُؤَةُ: كَيْفَ لَا
 أَجْزَعُ وَهُوَ قِرَّةُ الْعَيْنِ وَوَادِدُ الْقَلْبِ وَزَهْمَةُ الْفِكْرِ. وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
 لِي بَعْدَهُ. فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ: أَيَّتَهَا اللُّبُؤَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغَدِّيكِ
 وَيُعَشِّيكِ. قَالَتْ: لِحُومِ الْوُحُوشِ. قَالَ الْقِرْدُ: أَمَا كَانَ لِكَانِ لِكَانِ
 الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ. قَالَتْ بَلَى. قَالَ الْقِرْدُ:
 فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِكَانِ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا نَسْمَعُ
 مِنْكَ وَلَقَدْ أَنْزَلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا.
 وَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ. وَأَلْحَقْتَ بِنَفْسِكَ الْعَارَ.
 وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنصَافِ. وَسَطَوْتَ عَلَى الطَّبَّاءِ الضَّعَافِ.
 فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ. قَالَتِ اللُّبُؤَةُ: وَجَدْتُهُ
 مَرًّا الْمَذَاقِ وَلَمَّا عَلِمْتَ اللُّبُؤَةُ أَنَّ ذَلِكَ يَمَّا كَسَبَتْ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
 الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ. وَصَارَتْ تَضَعُ
 بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الطَّلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
 ٨٢ حِكْمِي أَنْ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . فَقَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتْ مَعَ الْفِيلِ وَلَسْنَا كُنْفُوهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الضَّبْرَةُ : أَحَبُّ مِنْكَ أَنْ تَذَهَبَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْتَنَ
 تَصْجُنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكَ لَمْ يَشْكُ أَنْ يَهَامًا فِيكَ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحَفْرَةِ
 تَوَهَّمَ أَنْ يَهَامًا . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مَكْبًا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتْ الضَّبْرَةُ تُرْفِرُ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَقُوتهِ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جِسْمِي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ . وَمَسَالِمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْفِيلُ مَسْلَكًا لِحَوَائِجِهَا .
 وَلَا طَرِيقًا لِحَطَائِهَا . فَلَمَّا انْتَهَى الْقِرْدُ فِي عَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤَةِ مِنْ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْتَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَنِي لَهَا حَجْرًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبُؤَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ حَمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتْ اللَّبُؤَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوحًا رَأَتْ أَمْرًا فُظِيعًا . فَأَمْتَلَّتْ عَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دَهَأَكَ . فَقَالَتْ اللَّبُؤَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَجْزِعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ النَّبِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلِ اقْتِنَاصِي لِأَوْلَادِ
 الْغَزَالِ . إِلَّا كَأَقْتِنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوْتِي وَقَدْ
 سَاقَهُ الْقَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْفَيْلُ بِعَظِيمِ
 جُتِّهِ . وَوُفُورِ قُوْتِهِ فَجَحَثَ عَنْ حَنْفِهِ بِظَلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ النَّبِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
 فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : ذَكُرُوا أَنَّ قَنْبِرَةَ
 كَانَ لَهَا عَشٌّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فَيْلٌ
 وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشِّ الْقَنْبِرَةِ .
 فَقَبِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعَشِّ وَوَوَّطَهُ وَهَشَّمَ
 رُكْنَهُ . وَأَتْلَفَ بِيضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقَنْبِرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
 بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
 رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عَشِّي
 وَهَشَّمْتَ بِيضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
 اسْتِضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْفَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ
 فَأَنْصَرَفَتِ الْقَنْبِرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفَيْلِ
 فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ . وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفَيْلِ وَنَحْنُ طُّيُورٌ . فَقَالَتْ
 لِلْعَمَاقِقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتَمُوا
 عَيْنَهُ . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
 وَمَضُوا إِلَى الْفَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْفِرُونَ عَيْنَهُ إِلَى
 أَنْ فَتَقُوا هُوهَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

الجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْجُمُوعُ . وَلَا أزالُ عَلِيَّةً مَجْهُودَةً . مُبَعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرغُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ العَالَمِ مُنْطَنَّةٌ . وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلتُ إِلَى قُوْتِي . بِسَبَبِ سَكُوْتِي

اللبوة والغزال والقرد

٨١ حكي أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَابَةِ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلْفَتْ جَوَارِهَا وَأَسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبْوَةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَفَقَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَنِي قُوْتًا
لِشِبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تُثْرِي فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهِنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حَجْرِهِنَّ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقتِصَاصِ
وَاحِدٍ فَجَعَلَهُ قُوْتِ ذَلِكَ اليَوْمِ وَتَسْتَرِيحُ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا العَزْمِ لِحُرْمَةِ الجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ نَائِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ
القُوَّةِ وَالْعِظَمِ . وَأَكَّدَ ذَلِكَ ضِعْفُ الغَزَالِ وَأَسْتَلَامُهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ .
فَأَخَذَتْ ظَبِيًّا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الغَزَالُ دَاخِلَهُ الحُزْنَ وَالقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ القِرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلَعُ عَنْ هَذَا وَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ العُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الحَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ العَدُوُّ أَخَذَتْ ظَبِيًّا
نَائِيًا فَلَقِيهَا القِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

أَلْبَابُ السَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنِ اللِّسَنِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ باز وديك تناظرا . فقال البازي للديك : ما أعرف أقل وفاء منك لأصحابك . قال : وكيف . قال : تؤخذ بيضة وتحضك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأيديهم . حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طردت من هنا إلى هنا وصحت . وعلوت على حائط دار كنت فيها سنين طرت منها إلى غيرها . وأما أنا فأخذت من الجبال وقد كبر سني فخط عيني . وأطعم الشيء اليسير وأسأهر فامنع من النوم والنسي اليوم واليومين . ثم أطلق على الصيد وحدي فأطير إليه وأخذه وأجني به إلى صاحبي . فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازيين في سفود النار ما عدت لهم . وأنا في كل وقت أرى السفايد مملوءة ديوكا . فلا تكن حليما عند غضب غيرك

(لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حكى أنه اجتمع برغوث وبعوضة . فقالت البعوضة للبرغوث : إني لأعجب من حالي وحالك . أنا أفصح منك لسانا . وأوضح بيانا . وأرجح ميزانا . وأكبر شأنا . وأكثر طيرا . ومع هذا فقد أضربني

وَلَوْ لَيْسَ الْجِمَارُ ثِيَابَ خَزْرٍ
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
 وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجُدْعَ مُعْرَضًا
 وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَتَشَّتْ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدِ يُوَوِّلُ إِلَى بَلِي
 وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا
 وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
 وَنَارٌ إِنْ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءَتْ
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
 وَيُمْكِنُ وَضْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
 وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
 وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
 وَمَنْ يَتَشَبَّهْ فِي الْعِدَاوَةِ كَفَّهُ
 يَهْوَى الشَّنَاءَ مَبْرُورٌ وَمَقْصُرٌ
 يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
 لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
 ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
 فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلٌ
 سَبَبُ لِجْمَعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
 تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ
 وَلَوْ قَدَصَفْتَ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَانِمٍ
 وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لَا بَسِ
 وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ
 كَمَا خُطِّي فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
 وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
 كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
 كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
 بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
 حُبُّ الشَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

فَقَالَ خَذْ قُلْتَ كَفِّي لَا تُؤَاتِنِي
 فَمَا كُلُّ مَصْفُورِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 فَمَا أُحْيَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينَا جُودَةَ الْكُفْنِ
 فَالغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنْ الْغَثِّ
 فَيَارِبْ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَا
 حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّلَبُ
 وَرُبَّمَا صَحَّتْ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
 أَيُّ بِمَا أَنَا بَالِكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ
 وَلَا يِنَالُ الْعُلَى مِنْ طَبَعَةِ الْعُضْبِ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبِ
 تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِزْمَ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنِي وَيَبْقَى مَرِيهَا

فَقَالَ قُمْ قُلْتَ رَجُلِي لَا تَطَاوَعْنِي
 فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَقْرِ
 فَالدرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيًّا حُسْنَ بَرْتِهِ
 لَا تَرَجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَعَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْعُرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْمُجْدَ رَطْبًا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا لِقَوِي عَنِ ضَعِيفٍ غَنِي
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْغَائِبِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْمُجْدَ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّتْبُ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضْدِ
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مَنْ دُونَهُ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبِكَ كُلَّ مَا
 إِنْ أُخْتَفِيَ مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَاءً وَيِي عَطَشٌ شَدِيدٌ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُضْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 إِنْ تَجَدَّ عَيْبًا فَسَدَّ الْحَمَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَمِّي يَوْمًا فَفُتْتُ لَهَا
 تَرَقَّبْ جِزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا
 ذَكَرْتُ أَلْتَمَسْتُهُ عَمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْتَلِمُ مِنْ قَدَحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضِ
 سَبْكَنَاهُ وَنَحْسَهُ لِحِينًا
 عَفَاكَ عِيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ أَلْتَمَسْتُهُ
 غُلَامٌ أَنَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 يَسُوكَ أَبَعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
 فَحَسَّ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُضْفِي لَهُ الْوَدَّ أَعْضِبُهُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 فَعَلَامَةٌ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
 وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَاطِطٌ عَلَيْهَا الذُّبُّ وَالضَّبْعَا
 وَلَا تَحْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ عَدَا أَقَوْمَ مِنْ قَدَحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكَيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَمِيدِ
 إِذَا دَفَّ مِنْ لَدَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمَّرٍ وَلَا أَبِ

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَحْدَرُ مِنْ غُرَابٍ .
 وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
 فَرَسٍ . وَأَنُومٌ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقٌ مِنْ صَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ
 مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
 وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَكَذْبٌ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
 وَأَجُوعٌ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَمُوقِ . (الصَّافِرُ
 الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
 إِنَّهُ يَبْيَضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخْتَةٌ
 طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنْ النَّجْمِ .
 وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنْ
 النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ دِجَلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
 وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسُّ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
 مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
 الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخْفُ مِنْ رِيْسِ الْحَوَاصِلِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ تُجْرَى الْمَثَلُ وَهِيَ لِشُعْرَاءَ مُخْتَلَفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِنَعِيرِ سِلَاحٍ
 إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
 إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَقْصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُجِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السُّمَّ
 أَتَكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
 الْعَالَمِيَّةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
 اللَّطْفُ رُشُوعَةٌ مِنْ لَا رُشُوعَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعَهُ . وَلَمْ
 يُبْحَسْ رَيْعَهُ . أَدْوِيَّةُ الدُّنْيَا تُقَصِّرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَتَسِيهُمَا لِأَيْفِي بِسُؤْمِهَا .
 مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْإِحْنَ . لَا بَدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِئِهِ . وَإِنْ كَانَ
 بَعِيدَ الشَّوْطِ . شِعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفِي . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفِئُ . أَعْمَالُكَ
 نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
 بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الرُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمُرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
 وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاتِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبَسْتَ
 الْوَرَعَ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتِ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
 خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَمْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
 مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبِّمَا كَانَ حَتْفُ أَمْرِي فِي مَا تَنَى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
 يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
 وَالْأَحْنَاشِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنْ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضْرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مِنْ أَحْتَاكِ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَّعِبْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمُرَاحِ . رَبُّ عَيْقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مِنْ خَادِنِ الْجُهُولِ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمُرَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . عُثْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَدْرَكَ الْمَقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَاوِرِ الْبَحْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ قَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجُدَدَ مِنْ الْعِثَارِ (لِلطَّرطُوشِيِّ)

حَتَّى يَجُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَفِينَكَ نَأْوِيَا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عُقُولِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعُرُوسَ مُبَهْتًا
 وَإِذَا أَمْرُؤٌ أَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَا
 أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالًا غَيْرُ آكِلِهِ
 وَيَقْطَعُ الثُّوبَ غَيْرُ لَابِسِهِ
 فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاكَ بِهِ
 وَصِلْ جِبَالَ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصِرِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرَكَهُ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
 وَالصُّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
 يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهُ
 يَا قَوْمُ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
 وَيَأْكُلُ أَمْوَالَ غَيْرٍ مِنْ جَمَعِهِ
 وَيَلْبَسُ الثُّوبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ
 مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
 تَرَكَهُ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةٌ
وَإِذَا أَتَمْتِ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفَهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعَ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غَنِيَّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَلَوْنِ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تُعَدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلِأَنَّ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرَّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تُزَقُّ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
بِيَدِي عُمُولُ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ

وَكَفَّ الْأَذَى وَأَحْفَظَ لِسَانَكَ وَأَتَّقِي
 وَتَأْفِسْ بِبَدْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
 وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
 وَغَضَّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
 وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمَّلٍ
 وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
 ٧١ وَقَالَ أَيْضًا:

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرُودًا
 وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
 وَأَجْعَلْ تَرُودَكَ الْمُخَافَةَ وَالْتِقَى
 وَأَقْعِ بِقُوَّتِكَ فَالْقِنَاعُ هُوَ الْغَنَى
 وَأَحْذَرِ مُصَاحَبَةَ الْأَلْسَامِ فَإِنَّهُمْ
 أَهْلُ الْمُودَةِ مَا أَنْتَهُمُ الرِّضَا
 لَا تُنْفَسِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
 فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
 لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ
 فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى
 وَدَعِ الْمَزَاحَ قَرُبَ لَفْظَةِ مَازِحٍ

فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُودِعٌ
 أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
 فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
 وَالْقَرُّ مَقْرُونٌ بَيْنَ لَا يَنْفَعُ
 مَنْعُوكَ صَفْوٌ وَدَادِهِمْ وَتَصْنَعُوا
 وَإِذَا مَنَعْتَ فَمَنْعَهُمْ لَكَ مَنْعُ
 يُفْشِي إِلَيْكَ سِرًّا إِنْ لَيْسَتْ دَعُ
 فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
 قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
 وَلَعَلَّهُ خَرِقُ سَفِيهِ أَرْقِعُ
 جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَأَعْبُدُ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
 يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
 إِنِّي أَبُو بَعَثْتَنِي وَخَطَيْتَنِي
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
 فَاسْأَلِ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
 وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
 بَادِرْهُوَكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
 وَإِذَا هَمَمْتَ بِسِيئَةٍ فَانْمِضْ لَهُ
 وَالضُّيفُ أَكْرَمُ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ
 وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
 وَأَطْلَبُهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
 يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
 وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
 يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
 وَلَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ إِنْ قَلَيْتَ تَصِحَّتِي
 ٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بِيْرِ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
 فَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
 وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
 غَفِيًّا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

فَقَرُّ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًّا وَفِي الْفَلَايِكِ بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبٌ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِيِّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ الْفِدْحَ حِينَ يَكُونُ قَرْدًا
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيُّ إِلَى ابْنِهِ حُسَيْنٍ
 أَحْسِنُ إِلَيَّ وَعَظُّ وَمُؤَدَّبُ فَأَفْهَمُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَادِبُ
 وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ يَغْدُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطُبُ
 أَبِي إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أُمَّالَكَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتُتْقِ إِلْهِكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهِهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأَلْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقَّتِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبُّ
 وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
 أَبِي إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي بَعْضَاتِهِ يَتَادَبُ

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
مَوَارِدُهُ صَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أُرْجِي عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخُلُقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْتَا
وَاجْتَرِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
مَعْقُودَةٌ لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
وَكَانَ مَا لِي لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمُهْلِ الرَّيْقِ
وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْدَّلَجَا
كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوتُهُ
أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ الْحِجَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
أَلْقَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
لَا تِيَّاسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطِي بِحَاجَتِهِ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَمُدْمِنِ الْقُرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
وَلَا يَغْرُنَكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
فَمَنْ عَلَا زَلْمًا عَنْ غِرَّةِ زَلْمَا
فَرُبَّمَا كَانَ بِالْبُكْدِرِ مُمْتَرَجَا
قَالَ الْمُتَنَبِّي :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَأَتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
قَالَ آخَرُ :

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عَشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيهَا
تَبَتَّعِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِثَّةً
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فِضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
غَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرِعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ مَاهَانَ الْخَزَاعِيُّ :

إِقْضِ الْخَوَاجِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارْجُ
فَلْتَحْزِرُ أَيَّامَ الْفَتَى
يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْخَوَاجِجَ

٦٦ قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَاجَتُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاخِيِّ وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَكَا لَقَمْرٍ إِذَا أُسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ
بِضَوْبِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِينَاْسِهِ
رِعِيَّتُهُ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيْفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدَلِهِ . (وَكَا لِنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَاْرَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لِأَرْضٍ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَابِيَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لِيْنِهِ لِيَنْ لَا يَنْهَهُ . وَهَدْمِهِ
وَأَقْتِلَاعِهِ عَظِيمِ الشَّجَرِ لِيَنْ جَاذِبُهُ

(للطروشى)

اشعار حكيمه

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهَ :

السَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَقَاهُ مِنْ شَجَرٍ
حَتَّى يُوَاْفِي عُبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ
وَإِنْ تَوَاْنَيْتَ عَنْ إِطْفَاْئِهِ كَسَلًا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً
وَيَلُوْنُ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيْرِ وَجُوْهُهُمْ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيْثُ جَمَّةٌ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَلَاقِي بِإِكْبَارِ
فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِيْنَارِ

الْقَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْآخَرَى فَأَقْهَرَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقِرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حَرِّهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَاهِي فَيَمَكِّنُ الْقَانِصَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمَلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ السَّنَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يُحْسِنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَاريفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرِّيحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِتَمَّةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي لَيْسَتْ جُودُهُ
 بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطْرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرَفٍ وَغَايِطٍ
 مُسْتَقِلٍّ . وَيَعْمُرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَّةٍ فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْأَمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةَ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمُنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
 مَقَاسَةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشَدِيدَ الْبَيَانِ لِأَعَزِّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرْفًا
 أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُفَى الْفَاحِشَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
 مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
 مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُنْتَحَلِ
 الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قُبايِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي اتَّقِ عَثْرَاتِ
 الزَّمَانِ وَأَخْشِ تَسَاطُطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَةَ الدَّهْرَ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
 جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ وَاللَّيَّامِ غَدْرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَقَبِّبٌ
 مُتَوَلِّبٌ فَاحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْمِ الْكُرَّةِ فَخَفِ سَطْوَتَهُ . سَرِيعِ الْغَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنُ
 دَوْلَتَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا تَامَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
 فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهَا فِيهَا . وَمَنْ أَدْلَ حَوَاسَهُ
 وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
 يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
 يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَبَّ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ
 وَخُسُوتِهِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرَّعِيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
 الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ إِسْلَاطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
 عَدُوِّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
 الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ صُورِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

يُدْرِكُنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَتَمَمْتُ الرِّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوَ لَا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السِّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَعَاشَرْتُهَا فَغَلَبْتَنِي صَاحِبُ الْخَلْقِ
السُّوءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلْذَمِنَ
الْعَافِيَةَ وَالْأَمْنَ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرًا مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْجُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجِيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرِينًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُبْدِلُ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنُّسَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمٍ مُطَالِبٍ بِحَقِّي . وَعَبَّرْتُ السَّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوِثَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النِّعَمُ وَالنَّوْمُ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَّخِذْتُ الْأَقْوَامَ بِالْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكُرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلٍ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلٍ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلِكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٍ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمومِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمومِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهُمومِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرْزَجَمهرِ حَكِيمِ الْقُرْسِ (قَالَ) : تَصَحَّيْ
 النَّصْحَاءَ وَوَعظِي الْوَعَاظَ شَفَقَةً وَنصيحةً وَتأديباً فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْبِي وَلَا تَصَحَّيْ مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَصْنَأْتُ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ
 الْقَمَرِ فَلَمْ اسْتَضِيْ بِضِيَاءِ أَضْوَاءٍ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكَتُ الْأَحْرَارَ
 وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرِ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا أَشْرَّ الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا وَزَاوَجْتَنِي الْمَضَائِقَ فَلَمْ يَزْجَمْنِي
 مِثْلُ الْخُلُقِ السُّوءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَعْبَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلِ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي
 شَيْءٍ أَضْرَعُ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْيَاءِ
 فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَعُ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي . إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي وَطَأَ لَبْتِي الطُّلَابُ فَلَمْ

إِذَا كُنْتَ ذَارِيًّا فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُتَمَلَّ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يَغْدُوهُ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقٌ وَفَاجِرٌ .
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى .
وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ . وَإِنْ أَسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ . فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ حَمَلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ أُتِمَّتْهُ خَانَكَ . وَإِنْ
حَدَّثْتَهُ شَانَكَ . وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَدْعَكَ . وَإِنْ أَسْتُكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ .
وَإِنْ عَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ . وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْتَهُ .

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلاَحٌ مُلْكُكَ وَاسْتِقَامَةٌ رَعِيَّتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ :
لَا تَعْدِ عِدَّةً لَا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا . وَلَا يَغْرَبَنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَعَرًّا . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاثٍ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَهْدِيِّ وَفِي يَدِهِ لُثْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُثْمَتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . أَلَدُنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلٌ .
 وَلَا يَبْخُلُ بِنَائِلٌ . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَذُنُ كَلَامَهُ
 وَيَجْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا سِيقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْنَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِشْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ
 (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمَلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ) : قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمَلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ . (أَفْرِدُونَ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَحَدُّوْهَا أَحْسَنُ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِرَوَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَبْنِي سَطْحًا يَبْنِيهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرُويزُ) أَطْعَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَمُكَ مِنْ دُونِكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُنْجِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى أَلْتِكِ بِأَبِي مُسَلِّمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدْبِيرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :

مَا الْأَنْصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
 الذُّلُّ. قَالَ: الْمَرْضُ عِنْدَ خُلُوِّ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
 مَا الْحِرْصُ. قَالَ: حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
 قَضَاءُ الْوَأَجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ قَالَ: التَّرَاخِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
 مَا الْفَهْمُ. قَالَ: تَتَفَكَّرُ وَإِذْرَاكَ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فائدة جامعة ولمعة ساطعة ومقالة نافعة عن علي بن أبي
 طالب) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
 إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ. يَغْفِرُ زَلَّتُهُ. وَيَرْحَمُ عِبْرَتَهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيَقْبَلُ
 عَثْرَتَهُ. وَيَقْبَلُ مَعْدِرَتَهُ. وَيُرْدِي غَيْبَتَهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ. وَيَحْفَظُ حَلَّتَهُ.
 وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مَيْتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيَقْبَلُ
 هِدْيَتَهُ. وَيُكْفِي صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
 حَرَمَتَهُ. وَيَقْبَلُ حَاجَتَهُ. وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُحِبُّ مَقْصَدَهُ. وَيَسْتَمِتُ
 عَطْسَتَهُ. وَيُرْسِدُ ضَالَّتَهُ. وَيُرْدِي سَلَامَتَهُ. وَيُطِيبُ كَلَامَتَهُ. وَيَبْرِئُ إِنْعَامَتَهُ.
 وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَتَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنِ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
 وِفَاءِ حَقِّهِ. وَيُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يُخَذِّلُهُ وَلَا يَشْتَمُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ
 الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
 وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانَ وَلَا نَمَامٌ. وَلَا
 مُعْتَابٌ وَلَا قِتَاتٌ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يَطْلُبُ

أَلْبَابُ الرَّابِعِ فِي الْحِكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَر . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُفْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رَبَّمَا أَشْتَدَّ . كَأَلْفِضْنِ النَّضْرِ رَبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . فَالرُّمْحُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالرُّجَّ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

أَلْقِيلُ يَضْجُرُ وَهُوَ أَعْيُظُّ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقُرَيْبَةَ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْقُنُوعُ
يُعْطَاءُ اللَّهُ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَاثِرَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كَظْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرْمُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصِّدِّيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ . فَقَالَ : مَا الْحِمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحِمْلَةُ فِي وُجُوهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السِّيَرَةِ وَالْإِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

٥١ قَالَ أَبُو الشَّغْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
 لَعَمْرِي لَنْ عَمَّرْتُ السَّجْنَ خَالِدًا
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسَجَّنُوا اسْمَهُ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَفَصْنَيْنِ فِي جُرُثُمَةٍ سَمَقًا
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَاطَتْ فُرُوعُهُمَا
 أَخْنَى عَلَيَّ وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
 ٥٢ وَقَالَ التَّمِيمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلْهَفَةٌ مِنْ خَافِفٍ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ
 يُدْنِي عَلَيْكَ لِسَانَ مَنْ لَمْ تُولِهِ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
 فَأَلْنَسُ مَا بَيْنَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَدْرَعٍ فِي خَمْسَةِ
 يَبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُحِيرٌ
 بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
 فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
 خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالسَّنَاءِ جَدِيدُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرَهَا مَنْشُورُ
 فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَرَفِيرُ
 فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَالْأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتَهُ فِي بَسَاتِينِ الْبَيْتِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَمَّا لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
قَالَ آخَرُ :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارَ قَدْ أَخْلَقَتْ
هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
٥٠ قَالَ الْفَطْمَشُ الضَّيِّي :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي
أَخْلَاءٌ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخَرُ :

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِصْبَةً
أَلَا قَالِمْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَايَا
فَدَيْتَكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً. فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْبُصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَشْبِي الرِّجَالَ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ خَلِيلٍ
 وَلَا بَدًّا يَوْمًا أَنْ تَحْيَى مِنِّي وَيُفْرِدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ بَرِيٍّ أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبٌ رَزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحُ بِمَضْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفِي لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَيْرِيُّ ابْنًا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّرِعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْبِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مِنْ شَاءٍ بَعْدَكَ فَلَمِيتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ بَرِيٍّ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُتَمِّمِ :

قَدْ رَزْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةَ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تَرَابَهُ فَلَطَّامًا عَنِّي حَمَلْتُ نَوَائِبِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوفِي صَغِيرًا :

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَا سَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى

فَقَدَنَاهُ فَقَدَانَ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفَى

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَعَا بِكُلِّ شَرِيفِ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ :

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصَبُّرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعْدِرَا

وَارْحَمَتَاهُ إِصَارَخَاتِ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجِهَهَا لَنْ تَسْتُرَا

مُلِقِي عَلَيَّ وَجْهَ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْفَحْرَابِ حِينَ تَسُورَا

لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرَّهَوِي مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبِنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوَانَهَا اتَّصَلَتْ لَكَاتِ الْبِحْرَا

لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعْدِرَا

لِحَقِّ الْعُبَارِ جِيئَهُ وَلَطَلَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَيْرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَتَدُمَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ

وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَتَدُحْرٌ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلَيْسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفْنَا
 يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
 لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مَعَاوِضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
 ٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
 وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
 لَيْنِ عَمَرْتِ دُورٍ يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتِ مِمَّنْ أَحَبُّ الْقَابِرُ
 وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
 بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِقْوَابِكَ . فَقَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حَنُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
 كَيْفَ أَسْأَلُوكَ وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيْتُ فَأَنَا أُدْعَى بِهِ
 وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي لَأَخَاهُ :

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
 وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
 ٤٧ قَالَتِ الْخُنَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
 أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيِّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
 طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
 يُجَمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا
 وَتَوَرِّي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَيَّ
 مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَانِقَةٍ
 يَا مَوْتَ يَجْحَى لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
 يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتَهُ
 يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِنَانِ لَهُ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ
 وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمِي
 يَا قَمْرًا أَحْجَفَ الْحُسُوفُ بِهِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدَ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدَا
 يَا لَوْعَةَ لَا يَزَالُ لَاعْجِبُهَا
 دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
 مَنْ لَمْ يَصِلْ ظِلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
 وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرَ الْجَسَدِ
 لَيْسَ بِزَمِيلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
 يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِعَدِ
 لَكَانَ لَا شَكَّ بِيضَةَ الْبَلَدِ
 حَازَ الْعُلَا وَأَخَوَى عَلَى الْأَمَدِ
 وَأَيُّ رُوحٍ سَلَّتْ مِنْ جَسَدِ
 وَأَيُّ كَفِّ أَرَلَتْ مِنْ عَضْدِ
 قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ
 وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
 فَجَعْتُ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلْدِ
 لِحَقِّي لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
 يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكْنََا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْرَزْنَا
 يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي
 وَلَا أُمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أُمْتَلَا حِرْنَا
 لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينِ وَالسُّنْنَا
 وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْرَزْنَا
 هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

الإخوان هدية فلما امت شهرك ربك بفضلك وألبسك رداء عمك .
فلو رأيت من حضرك علمت أن ربك قد أكرمك (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مختار من قول الحكماء عند وفاة الإسكندر لما جعل في تابوت
من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال : كان الملك يحب الذهب وقد
صار الآن الذهب يخبأه . وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين
وتملكها ثم جعل منها في أربعة أذرع . (ووقف عليه آخر) فقال :
أنظر إلى حلم النائم كيف انقضى إلى ظل النمام وقد أنجلي .
(ووقف عليه آخر) فقال : مالك لا تفل عضوًا من أعضائك وقد
كنت تستقل ملك العباد . (وقال آخر) : مالك لا ترعب بنفسك
عن ضيق المكان وقد كنت ترعب بها عن رعب البلاد (وقال آخر) :
أما هذا ألمت كثيرًا من الناس للملا يموت وقد مات الآن . (وقال
آخر) : ما كان أفتج إفراطك في النجبر أمس مع شدة خضوعك
اليوم . (قالت بنت دارا) : ما علمت أن غالب أبي يغلب . (وقال رئيس
الطباخين) : قد نضدت النضائد وألقت الوسائد ونصبت الموائد
ولست أرى عميد المجلس

(للقيرواني)

٤٤ قال ابن عبد ربه يرثي ولده :

واكيدا قد تقطعت كيدي قد حرقتهأ لواعج الكمد
ما مات حي لميت أسفا أعذر من والد علي ولد

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّامَاتِ دَاوُدِ الطَّائِيِّ تُكَلِّمُ ابْنَ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعَشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْتُونِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَبَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجُبِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَيْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشَيْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيْنَهُ . ثُمَّ أَمَتَّ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَدَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَيَّ بِأَبِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تُبَرِّدُ فِيهَا مَاءَكَ وَلَا صَخْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبَهُ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيْنَهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدَتْ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَاتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

وَطَرْفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طُوحَا
 وَقَلْبِكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي
 بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ
 يَبْجُرُ الْأَيْثِمَ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ
 وَقَلْبِكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ
 عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا
 وَجُهْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدٌ
 وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ
 ٤١ قَالَ بِهِاءِ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

نَزَلَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ
 وَبَكَتْ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ
 بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَانُ
 أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا
 هَمَّاتٍ لَا وَاللَّهِ مَا
 قَدْ كُنْتَ تُعْذَرُ بِالصَّبَا
 مَنِيَتْ نَفْسَكَ بِاطِّلَا
 قَدْ صَارَ مِنْ دُونَ الَّذِي
 ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ
 فِي مَفْرَقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
 بُ فَاهِ آهٍ عَلَيْهِ رَاحِلُ
 نُ وِلِي أَقُولُ وِلِي أُسَائِلُ
 قَدْ كُنْتَ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
 هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثَ عَاقِلُ
 وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
 وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلِ
 تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَّاحِلُ
 وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلِ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْزِئْهُ مِنْ تَتَقِي
 إِنْ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا أَلْحَجِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَخْصُدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَايِرًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبَرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْإِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَانْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يَهْدِيكُمْ مِنْ صَلاَحٍ يَحْمَدُهُ
 فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا لِيهِكَ مُشْتَعِلُ
 تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفَرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجَدًا فَأَحْسَنْ مَا
 عَنْ نَجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى مِثْلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزْمًا لَتَرْتَقِيَ مَكَانًا دُونَهُ زَحْلُ
 بِقَاوُهَا بَقَاءُ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ عَافِلُ
 إِلَى كَمِّ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 وَفِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّغْيِ رَافِلُ
 وَفِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لِأَمْرِي حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحُدِّ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حُوفِهَا لَكَ وَرُدُّ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجِبَةِ وَالْمُدَامِ وَمَلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهِيَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِن تَرَى يَدَي زَمَامِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخْوَسُ كُونِ وَيَلِيقُ بَأَن أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّيحَ نَقْصُ بَعْدَ هَذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَدْرُ التَّمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مِيدَانِ لَهْوِ خِيُولِ هَوَى وَكَمْ ضُرِبْتُ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَأْسَ تَعْيِيسًا وَصَدَا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِأَبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مِنْ يَدُومٍ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجُهْدِ
مَنْ يُطْعِ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الضَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضَلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نَضْحِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاضِحٌ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَدَّحِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ
تَرَى الَّذِي أَخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا
وَقَالَ آخِرُ مَتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
يُعْجِلُ تَخْلِيصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى
وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعْيشَ فَإِنِّي
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُحِيبُ مُنَادِيًا
قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ
أَكَلِ التُّرَابُ مَحَاسِنِي فَسَيَتَكُمُ
وَقَالَ آخِرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي
قَدْ تَدَيْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تُرَدِّينَ وَالْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهَيْنَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهَوُ وَتَلْهَيْنَ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْنَا وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُعْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِّي فَنَعَيْتُ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةِ وَزِيرِ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
فِيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرِ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسَلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرُدُّ إِلَى الْمَعِيرِ
٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لِحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفْرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِفَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَعَبِّوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةٌ ثَالِثٌ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرُ مُقَلَّتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى الْبَلْبَى هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَانظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلِكُمْ وَجَارِكُمُ الْمَفْدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَيْمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَعْثَ مُخْرِجُهُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا أَلَمٌ
بِعَجَائِبِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرٍ تَأْتِطِمُ
وَالعُمْرُ يَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقَرُّ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَى ضَوْءُ ظُلْمٍ
وَالنَّاسُ بِجُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبَ أَذْهَبَ الحِلْمُ
صَمٌ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قُسِمَتْ لَهُمْ نَعَمْ
فُرُقُوا فِرْقًا فِرْقًا فِرْقًا وَمَضُوا طَرِيقًا لَا تَلْتَمِمْ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدِرُ مَا
وَهَيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشَّمَا
يَكُونُ صُعُودُ المَرءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ابْنُ المَعْتَرِ :

نَسِيرٌ إِلَى الأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطْوَى وَهِنَّ مَرَّاجِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّه الأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَفْجَعَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرِّأْسِ سَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا إِزَادَ مِنَ التَّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو العَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ المَوْتِ :

بِكُرْبَتِهِ . مُنِخٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشُّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) . الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظَّفْرِ . نَيْمُ الظَّفْرِ . حُلُوُ المَوْرِدِ مَرُّ المَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ المَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِيبةِ وَاللَّيْثِ فِي القَرِيصَةِ . (وَلِشَّمْسِ المَعَالِي قَابُوسٌ) :
الدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مُفْصَلُهُ وَجُمْلُهُ . إِنْ أَصْحَبَكَ سَاعَةٌ أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسِدَّةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أُنْتَبِى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أُنْتَبِى مِنَ الغَوْلِ الهِدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللطَائِفِ للمقدسي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الحَيَاةِ فَضَاعَ الحِرْصُ وَالحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمُ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتْهَا نِعَمَ العُصُونِ وَلَكِنْ بِسَمَاءِ الثَّرِّ

قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَفَاتِ مَهْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَهْصُودُ

قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فِجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتَ كَأَلْبَازِي المُنْتَفِ رَيْشُهُ بِرَى حَسَرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرُ

فِيذْكُرُ رَيْشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ خَرَاقَاتِ الجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي الهَوَا

عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا

فَأَصْبَحَ مَهْصُوصَ الجَنَاحِينَ خَاسِرُ إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ

أَفْهَمُ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ الْأُذُنَانِ . وَهَمَّا فِي النُّقْلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَبِي رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْإِنْسَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لَعِبَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُبْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرٌ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْتِقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أُمَّ لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَدْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجِعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمَنْ يَوْمَهُ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يُرْضِعُ ثَدْيَهُ وَيَجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُوِيْرُ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ لَيْسَ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَتَخَلَّلَهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْنُفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وَفِي فَضْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِّ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنٌ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَنِيَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْمِمْ الْحَيْرِ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظُّلْمِ . حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَأَبَةِ مِنَ الْبُهْمَةِ
وَالْقُطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْحُجْبَتِي . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَنْشَاكَ مِنْ كَفْيِهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكَلْمُهُمْ بِأَقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شَغَلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ أَلْمُوتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرُوحَهُ بِجِبَالِ أَلْمُوتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمَهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وتروى هذه القصيدة في ديوان علي بن أبي طالب)

حفظ للحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَفَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ
 مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسَلِّمُ الْخَوَاصِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَهْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّارٍ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَبَارَادَتِيهِ تَنْبِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَنْقَبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

وَأَسْتُنزِلُوا بَعْدَ عِزِّهِ عَنِ مَعَالِقِهِمْ
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دَفِنُوا
 أَيْنَ أُلْجِئْتُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ مُنْعِمَةٌ
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
 وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا
 وَطَالَمَا شِيدُوا دُورًا لِتُخَصِّمَهُمْ
 أَصْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحَشًا مُعْطَلَةٌ
 سَلَّ الْحَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِئِبَتَهُ
 أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاحِمَهَا
 أَيْنَ الْعَيْدِ الْأَلَى أَرْضَتِيهِمْ عُدَدًا
 أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْعُلَمَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتِهِمْ
 أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
 أَيْنَ الرُّمَاتُ أَلَمْ تُنْمَعْ بِأَسْمِهِمْ
 هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 وَلَا الرُّشَى دَفَعَتَهَا صَاحٍ لَوْ بَدَلُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
 مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأَوْدِعُوا حُفْرًا يَابِسًا مَا نَزَلُوا
 أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحُلَلُ
 مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ
 تِلْكَ أُلْجِئْتُمْ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَلُ
 فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
 فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَنْتَقَلُوا
 وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَرَحَلُوا
 أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
 تَوَّءَ بِالْعُصْبَةِ الْمُثَوِّينَ لَوْ حَمَلُوا
 أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْحَطِيبَةُ الذَّبَلُ
 لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
 أَيْنَ الْحِمَاةُ الَّتِي يُجْحَمِي بِهَا الدُّوَلُ
 لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْضَلُ
 عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
 وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
 بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَابِسًا مَا فَعَلُوا
 وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّ بِهِ وَسْنُ
 لَمْ تَدْمُ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا أَلْهَمْتُ وَالْحَزْنَ
 وَأَلْشَدَّ آخِرُ:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تَجْبِي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ
 شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كِلْسًا فَلَطِيرٌ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلُ فِي الْوُجُودِ بَعِينَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخِرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُهُ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ
 الرَّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَلْشَدَّهُ:

بَاتُوا عَلَى قُلِّ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَفْعَهُمُ الْقَلَلُ

رُومُ الْخُلْدِ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنْعَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَنْبَهُ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ حُرَّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يَوْمِئِذٍ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُونَ الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَلْفَتُونَ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لَوَارِثَهُ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهَلُّوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَابِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَكُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى قَاتٌ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان عن بعضهم :

عَنْتِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتِرَاحَ الزَّاهِدِ الْهَطِينِ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفْنُ

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَّتْ . أَوْ أَطْبَتْ بَاتَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
أَوْ مَاخَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَاخَنْتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
تَوَهَّتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحَدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانٍ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمٍ أَخَذَ
٢٨ وَقَدَرُوِي أَنْ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعَلَّمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَادَةُ عَنِ أَنْاسِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الْهُمُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ الدِّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَّمٍ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرََانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لِلهَوَى مُتَّبِعٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طَلَابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَخَدَعُ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضِ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعُ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةِ لَامِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بِسَطَّةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرْعَبُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَعَدَّرَتْ بِهِمْ أَوْثِقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلَ مِنْهُمْ بِذَلِّ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تُوْخَذُوا عَلَى فِجَاءَةٍ . فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الْأُسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا . وَمَهْدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تُعَذِّبُوا . وَتَرَوْدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقُ عَدْلِ
وَقَضَاءِ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَنَزَلَ قُلْعَةٌ وَعَنَاءٌ . قَدْ تُرِعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَانْتُرِعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا
وَالْمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْظُهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضَجُّ فِي دِمَنِ غَبْرَاءٍ . مُدْهِمَةً ظَالِمَاءَ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَزِيدَ فِي حَسَنَتِهِ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَتِهِ . ثُمَّ يَأْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

ذَا مَرَّتْ فَعُذَّ بِهَا مَتَّصِبٌ ذَا مُنْقَضٍ ذَا مُنْجَزِمٍ
 لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُوجِدُوا لَا يَتَعَبَّرُونَ لِمَا عُدِمُوا
 أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَمٌ
 (لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَمِيرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِينِ أَعْجَبُ
 وَأَعْجَبُ مِنْ هَذِينَ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَمَهْوٍ مِنْ دِينِ أَخِيبُ
 ٢٤ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَدَاتِهَا بِمَا
 يَنْقِضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْقُدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
 الْأَوْزَارَ وَلَا تَهْلِكُ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
 أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ أَمْوَالُ
 الْقَوْمِ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ أَحْوَالُ
 مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَأَسْتَحْكَمُ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
 هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
 فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عَيْونًا دَمَعُهَا أَلَانَ سَاكِبُ
 فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . اِرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا يَوْمًا .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآمَانَنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجَدِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَشْتِغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِي قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ اعِنَّا عَلَى أَنْ نُحَذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُبْغِي لَكَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ وَالْقُدْرَةَ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَأَنْصَرِفُ
 وَأَنَا مُتَعَبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ (أسواق الأشواق للبقاعي)

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ أَحْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقَرَّسَهُ أَوْ يَلْهُو فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ مَخَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُعْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وُلِيَ وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنْ الطَّمَانُ يَقْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةُ الْجَلِيدِيَّةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بَرَمِدٍ وَمُخَوِّدَةٍ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْمَةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِالْهُوَى
 وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُخْجَبَةِ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

إِلَى الْحُرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلَغُ الصِّفَاتِ النَّظْرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمُحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ .
وَأَحْسِنِ سَرِيرَتَكَ . يُحْسِنِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُتَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغَلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُمُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَنْقَلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهُ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشِيكَ الْجَبَّارَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أُعْتَلَتْ فَافْكَرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتَلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَأَرْضَ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرِي عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا تَبِي مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

وَبَيْنَهُ مَوَانِسَةٌ . فَمُتَّ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدَّ حَوَتْ عَظَمَتَهُ كُلَّ
 شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُجَّ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
 عَلَى مَا نَتَقَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
 الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
 الطَّبَائِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . فَقُلْتُ :
 وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
 التَّخْلُصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
 فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ .
 فَقَالَ : لِأَحْسِنَ هَذَا السَّبْعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
 مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
 وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطَنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
 الْأَشْيَاءَ الْمُوَبَّقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
 الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوَذِقْتَ حَلَاوَةَ
 الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحِشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبَسْتَ السَّوَادَ .
 فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَاتَمٍ وَأَهْلِهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبَسْتُ
 السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذَكَّرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
 ظَنَنْتُ أَتَى مُتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
 عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدًا
السَّبَاقَ وَالسُّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالْغَايَةَ النَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
الْأَعْمَلَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ بُوسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَتَدَّ خَيْرَ
عَمَلِهِ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّمَنِ وَدُلُّتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ تَوْفِ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ . قُلْتُ: بَلَى رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطًا وَرَأْبَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالِدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

فَمَرًّا بِشَجْرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجْرَةَ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالِ
فَصُرُوفِ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُؤْمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمْنِي دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالِ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجْرَةَ فَمَرَّا بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْخَبُوءُ نَعَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كَمَا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجْرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عَظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةُ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ :
وَفِي هَذَا النَّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينِيذٍ
وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ (للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَاهَا

١٩ (مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَادْبَرَتْ بِيَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْأَمْرُ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّةٌ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَبْلِسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا بَيْنِي وَاللَّهِ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأَخْلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَوَلِيَ الْأَمْسَاحَ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ لِيَسْمَانَ وَيَعْبُدَانِ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرْتِ إِذَا اشْرَفَ يَوْمًا وَاللَّهْدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالنَّجْرُ مُعْرِضًا وَالسَّدِيدُ
فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَّصِدًا وَمَعَهُ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

في الخوف

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَاصْكِينٍ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعِثْبِي رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يُجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَتَقِيَاءُ كَانَهُمُ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَاسِ الزُّهْدِ إِنْ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مِثَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَقْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ . يُتَاجُونَ ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَالْأَعْظَمَةَ فِي فِكَكَ رِقَابِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنْ النُّعْمَانُ بْنُ أَمْرِيٍّ الْقَيْسِ الْأَكْبَرِ الَّذِي بَنَى الْخُورْتَقَ وَالسِّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخُورْتَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسَّعَةِ وَنُفُوذِ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفَلَاطُونَ الْأَلِهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرُودَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحَسَنِ
وَالْبِهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْحَمِيَّةِ الْأَنْقِيَّةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ
مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرَّوْحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْأَلِهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرَّبُوبِيَّةِ . فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبِهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَشْئِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرَقْتَنِي ذَلِكَ الشَّأْنُ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبِهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
كَيْفَ انْحَدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوسَ حَيْثُ
أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَالنَّجْثِ عَنِ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَأِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفو وَيَغْفِرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَفْتِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِقْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقْنِطَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّخَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذُؤُوقُ الْقَرْبِيِّ وَيَجْفُو الْمُوَالِفُ
لِمَنْ صَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أُرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

ضَعِيفٌ وَمِنَّةٌ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عِدَّتُهُ . وَخَلَقْتَ جِدَّتَهُ . وَتَمَّ طَمُوهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طُولِ النَّسِيئَةِ . وَحَسَنِ التَّبَاعَةِ وَشَجِّحِ الْعُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخَّرِ
 الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِيلِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَعْطَفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَأَقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ
 تَرِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
 تَطَّلَعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلَمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سِنَى الْحَقِّ طَائِفٌ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفٌ
 وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرَّ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفٌ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفٌ
 فَهَلْ أَرَقَّ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ
 فَجَدَّ بِالدَّمُوعِ الْحَمْرِ خِرْنَا وَحَسْرَةً قَدَمَعَكَ يَنِينِي أَنْ قَلْبِكَ آسِفٌ

قَالَ آخِرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظَمْتَ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَأَجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِنَّا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْنَّفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقَطِعَ الْعَمَلُ .
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَعَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفَّتِهِ وَعَلَى
الْأَصْرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تَبَتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
فِيهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَاسْتِغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ .
وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا وَأَبًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَفْرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَأَحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَمِينٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
 وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَبِ لِمَوْلَاهُ
 إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
 سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
 صَوْتِكَ تَشَاقُقُهُ مَلَائِكَةٌ فَذَنْبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْتَاهُ
 فِي جَنَّةِ الخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
 سَأَلْتَنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 ١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْعَفَلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
 الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعَ أَهْلُ
 الشَّرِيعَةِ عَنِ الْحَرَمَاتِ وَوَرَعَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْخَاسِبَةُ
 وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
 نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
 تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّعُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ خَالِيَةُ الْقَلْبِ
 عَمَّا خَلَّتْ عَنْهُ الْيَدُ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
 الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
 عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَمْعُ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
 وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَامَلَةِ
 الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ
 (لبهاء الدين العاملي)

كَانَ بَصِيرًا فَسَمِعَ عُفَيْرَةَ قَوْلَهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مُحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَيَتَمُّ الْعِيَالُ لِيْ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِتُ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنُونِي أَصِحَّابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هِمَّةُ
رَثَ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٍ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ نَسْمَةُ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ لِلَّهِ مُعْتَصِمٍ عَلَى صِرَاطِ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ :

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطِّيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَاءِ
هُوَ الطِّيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَتِهِ لَأَمِنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَأُهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُنْتَلَى تُ بِهِ وَأَنْتَ عَلِيٌّ شَاهِدٌ
 إِنَّ أَلْهُومَ جِيُوشَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ
 فَرَجَ بِجَوْلِكَ كُرْبَتِي يَأْمَنُ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 فَخَفِي لُطْفَكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدِ
 أَنْتَ الْمَيَسِّرُ وَالْمُسَيِّبُ بَ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبَبَ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ رَاحِي فَلَئِنْ يَسُدَّ تُ مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 وَعَلَى الْعَيْدِي كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتْنِي بِالْحَوَاسِدِ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَابِدِ
 وَعَنْ أَلْوَرَى كُنْ سَاتِرًا عَيْبِي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدِ
 يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدِ
 فَأَمْنٌ بِبَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَيَّ كَعِيدِ الْحَوَاسِدِ
 هُدِي يَدِي وَبَشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدِ
 فَلَكُمْ إِلَهِي قَدْ شَهِدُ تَ لِقَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والتمتع به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنَ بَسْطَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عُفَيْرَةَ الْعَابِدِ الضَّرِيرِ وَكَانَ قَدْ تَعَبَدَ وَبَكَى خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى
 عَمِيَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ مَا أَشَدَّ الْعَمَى عَلَيَّ مِنْ

تُفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَمَا لَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِيهِ الْفَرَجُ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ أَلْقَى إِلَى
وَمَنْ أَسْتَرَّاحَ بَغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا
رَأْيِي يُلِمُّ إِذَا عَرَّتَهُ مُلْمَةٌ
عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
أَنَا عَبْدٌ سِوَهُ أَتَى كُلُّ عَلَى
قَدْ أَثَقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَذَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَأَغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقْهُ تَوْ
وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الرِّمَزِيُّ :

يَا مَنْ نُحِلُّ بِذِكْرِهِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا
عَقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَائِدِ
وَالِيهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدِ
صَمَدٌ تَنَزَّهُ عَنِ مُضَادِّ

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ البَقَاءِ . يَا وَاسِعَ العَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ العُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ العُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الكُرُوبِ . يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرِّفَاتِ . يَا فَالِقَ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فَجْرًا مَعَ
 الرِّوَّاحِ . يَجْلُنُ فِي النُّوَّاحِ . يَا هَادِيَ الرِّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ العِبَادِ . يَا مُخَيِّمَ البِلَادِ . يَا مُطَاقَ الأَسِيرِ . يَا جَارَ الكَبِيرِ .
 يَا مُغْنِيَ الفَقِيرِ . يَا غَازِي الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصِ . مَا عَنَّهُ مِنْ مَنَاصِ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصِ . أَجْرٍ مِنْ أَلْحَجِيمِ .
 مِنْ هَوَاهَا العَظِيمِ . مِنْ عَيشِهَا الدَّمِيمِ . مِنْ حَرِّهَا المُقِيمِ . أَسْكِنِي
 الجَنَانَا . بِلِغْنِي الأَمَانَا . فِي مَنزِلِ تَعَالَى . بِالحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَالَا . تَلَقَى بِهِ الجَلَالَا .
 (ديوان علي)

٦ قَالَ الأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحَدِّثُ رَبَّهُ بِأَيَّاتِ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقَ الجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسْبِغَ البَرِّ الحَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّتْرِ الجَمِيلِ عَمِيمِ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الحَقِيِّ وَمُنْجِزَ الوَعْدِ الوَفِيِّ قَضَاءِ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظَمَتِ صِفَاتِكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ وَتَوْبَةُ العَاصِي بِحَمْلِكَ قَابِلُ
 رَبُّ رَبِّي العَالَمِينَ بِرَبِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

الْأُمُورِ بِأَرْزَمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْفِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْفِهِ . وَجَعَلَهَا مُفْرَقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجِبَ الشُّكْرَ بِبَشْرِهِ سَحَابٍ نِعْمَةٍ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَأَسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَحَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَالِمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شِعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعِظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَأَيْبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي قَتَّتْ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاطِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ حُرَانَتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنَّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتَ وَالنُّغْصَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَعَلْبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

آلَسَنِي ذِكْرُكَ . وَإِذَا أَكَبَّتْ عَلَيَّ الْغُومُ لَجَأْتُ إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عِلْمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلَبْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وُلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَامِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلَسِّنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِّ أَبْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي سَمِجٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سَمْعَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْتِغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَاللَّسِيَانِ فَالْهَمِّنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الشُّطْرَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْمَحَاسَبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُحْتَجَبُ بِشُعَاعِ نُورِهِ
 عَنِ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالتَّجْبِيرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَنْقَادَتْ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ . وَإِنْ قُوتَ كَمْ هُوَ . فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ . فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةَ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ حَلْقُهُ . فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِمُخَالَفِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعْيُونُ . وَلَا تُحَالِطُهُ الظُّنُونُ .
وَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبَهُ كَرَامَتُهُ . وَبَعْدَهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَغِيْبُهُ مِنْ
غَيْرِ تَنْقُلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَمِمَّا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوک للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْمَلِكِي . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَجَّ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤَسِّسِينَ .
الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدْتَهُمْ وَغَايَبْتَهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ . إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْغُرْبَةَ

أَلْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدِينِ

فِي كِمَالَتِهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
 الْأَنْوَارِ . وَمَكْوَرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
 مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
 مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
 لَطِيفُ الْخَبِيرِ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَمَهُمْ
 شَيْئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
 بِيْرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
 زَمَهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِفُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمَّ . وَلَا
 صَرَّهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
 مَعَهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لِأَصِفَةِ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمْدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
 لَصُورٍ . وَلَا تُغَيِّرُهُ إِلَّا تَارٌ وَالْغَيْرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَنَةُ .
 تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْأَحَادَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
 مَكَانَ وَجُودِهِ . لَمْ يَقْتَرِفْ وَجُودَهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ . غَنِيٌّ
 نَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأَ . وَإِنْ
 تَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِلْسِ) . وَالْقَدِيمُ

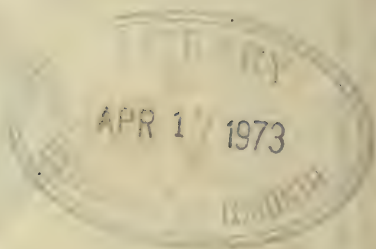
PJ

7631

C538

1913

V. 3



مَجَانِي الْأَدَبِ

فِي

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع

احد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

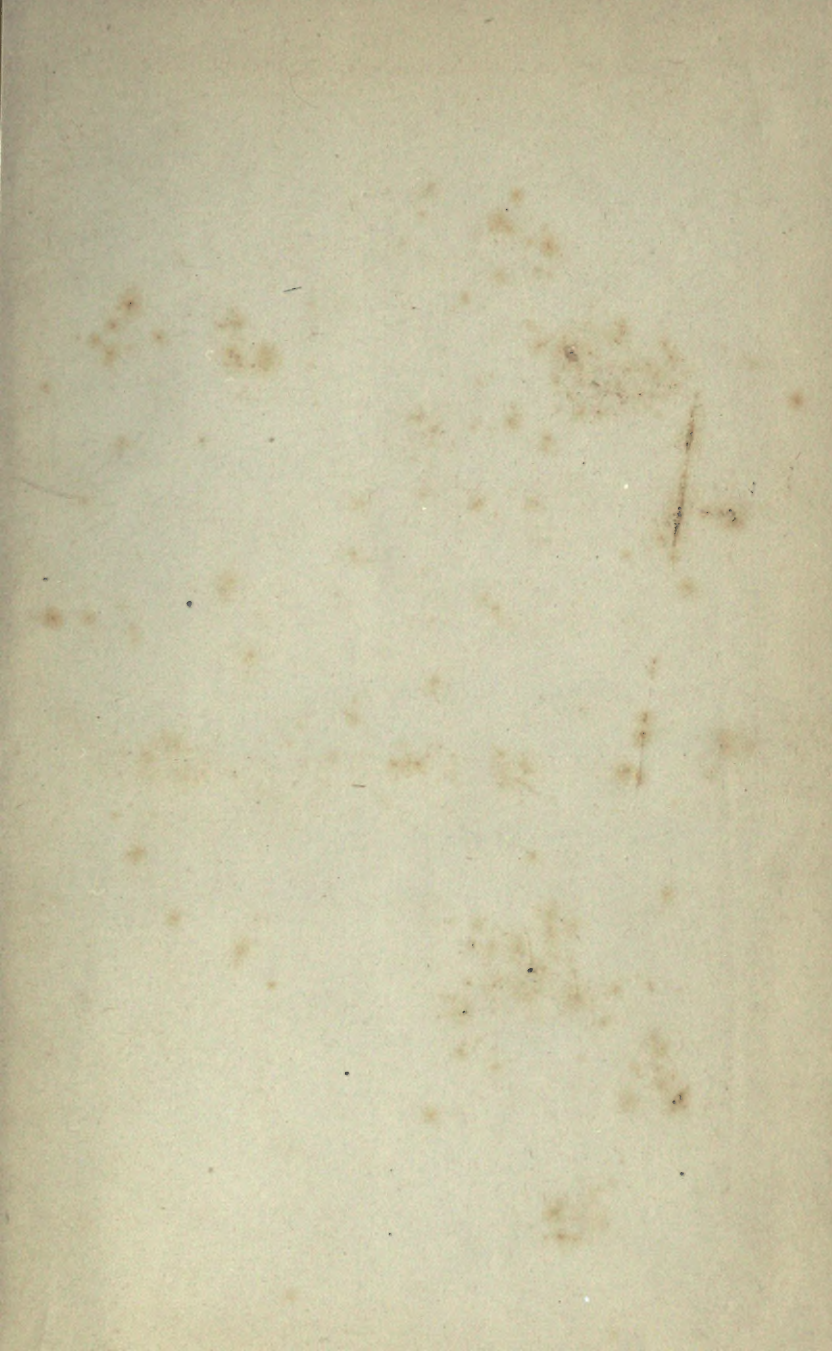
الجزء الثالث

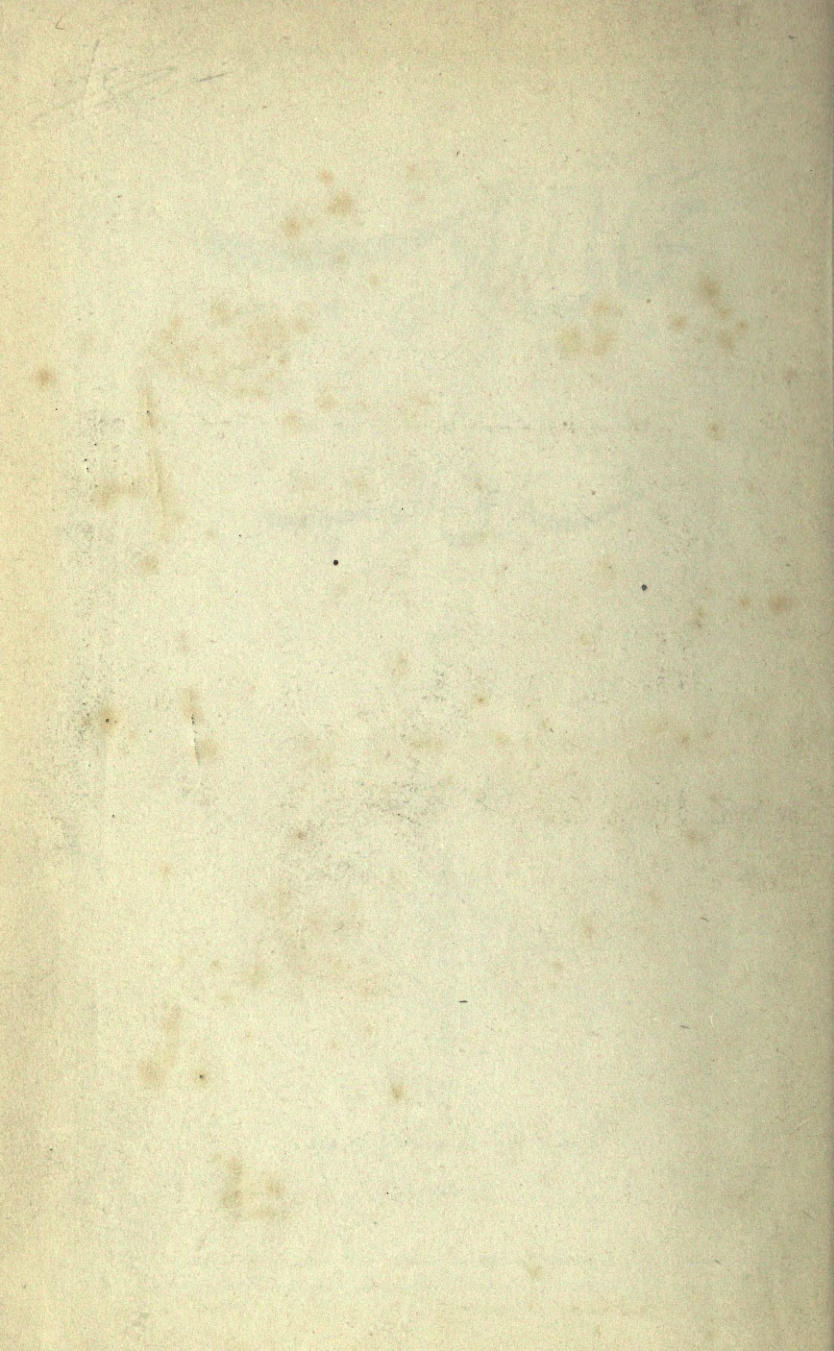


طبع ثانية

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٤





PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7631
C538
1913
v.3

Cheikho, Louis
Majani al-adab

